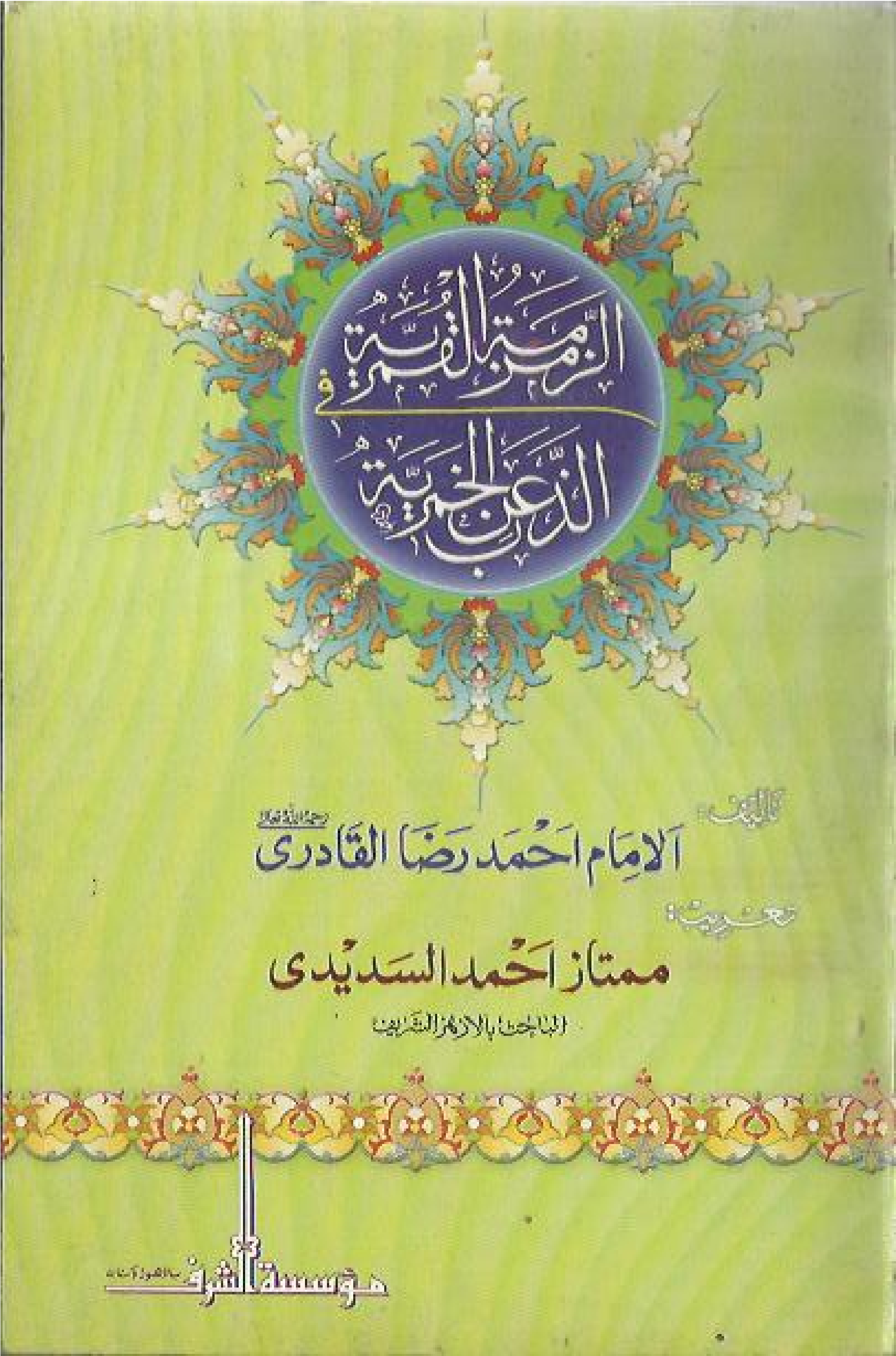


الزمزمة القمرية في الذب عن الخمرية
تأليف:
الامام احمد رضا القادري
تعريب:
ممتاز احمد السديدي
الباحث بالأزهر الشريف
مؤسسة الشرف

الزمزمة القمرية
فى الذب عن الخمرية

تأليف

الإمام أحمد رضا خان

القادرى البريلوى

تعريب

ممتاز أحمد سديدى

الباحث بالأزهر الشريف



الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

يطلب من :

Maktaba Qadria

Jamia Nizamia Rizvia   Lahore (Pakistan)

Maktaba Rizvia

Data Darbar Markeet Lahore (Pakistan)

Idara-i-Tahqeeqat-e-Imam Ahmed Raza

25, Japan Mansion, 2Floor, Raza Chowk

(Regal)Sadar. Karachi(Pakistan)

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمصنف وتأليفه

بقلم

فضيلة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادرى

-حفظه الله تعالى ورعاه-

الحمد لله الذى هدانا بالحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وأكرمنا بنعمة الإسلام . والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فإن رسالة ,,الزمزمة القمرية فى الذب عن الخمرية,, والتى نحن بصدد التعريف بها وبمصنفها الإمام أحمد رضا خان القادرى الحنفى والذى يعد علما من أعلام الطريقة القادرية والفقه الحنفى فى شبه القارة الهندية بما فيها باكستان وبنجلاديش والهند والذى كان من كبار المصلحين فى منطقة شبه القارة . وما زالت مؤلفاته فى شتى العلوم الإسلامية ودواوينه فى مدح الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالعربية والفارسية والاردية تحتل مكانة مرموقة فى شبه القارة . وإننا سوف نحاول كشف الستار عن جانب من جوانب شخصية هذا الإمام الجليل قدر استطاعتنا فنقول :

حظيت شبه القارة الهندية بعدد كبير من أولياء الله الصالحين على مر العصور والسنين والذين دفعوا مسيرة الدعوة الإسلامية إلى الامام . كانت دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى على أساس الحكمة والموعظة الحسنة . وما زال المسلمون فى كل من باكستان وبنجلاديش والهند يحتفلون بذكراهم السنوية حبا وتقديرا وعرفانا بالجميل . ونذكر أسماء بعض أولئك

الصالحين على سبيل المثال لا الحصر ، منهم الشيخ على بن عثمان الهجويرى ، والشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى ، والشيخ نظام الدين الجشتى البدايونى ، والشيخ فريد الدين الجشتى ، والشيخ بهاء الدين السهروردى الملتانى ، والشيخ أحمد النقشبندى السرهندى ، وكان الإمام أحمد رضا خان أحد الأولياء الصالحين من أبناء الطريقة القادرية ، والذى يحتفل المسلمون بذكراه سنويا فى مدينة بريلى بالإضافة إلى مدن هندية وبلاد أخرى .

إن حفاوة المسلمين بذكرى أولياء الله الصالحين فى شبه القارة بما فيها اليوم باكستان وبنجلاديش والهند تشبه الاحتفالات التى تعقد بمناسبة إحياء الذكرى السنوية لأهل البيت وأولياء الله الصالحين فى مصر نذكر من أهل البيت سيدنا الإمام الحسين ، ومولانا على زين العابدين ، والسيدة زينب، والسيدة رقية ، والسيدة سكينة ، والسيدة فاطمة النبوية ، والسيدة نفيسة نفيسة العلم والمعرفة ، والسيدة عائشة بنت سيدنا الإمام جعفر الصادق رضى الله عنهم أجمعين ، ونذكر من أولياء الله الصالحين فى مصر، مولانا أبا الحسن الشاذلى (حميصره) والإمام عبد الرحيم القنائى (قنا) ، والإمام أحمد البدوى (طنطا) ، والإمام ابراهيم الدسوقى (دسوق) والإمام الشافعى (القاهرة) ، والإمام المرسى أبا العباس (الإسكندرية) ، والإمام البوصيرى (الإسكندرية) والإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف سابقا (بلبيس) والإمام محمد متولى الشعراوى (دقادوس) ، وقد سعدت بزيارة أضرحة أغلبهم بصحبة الشريف وجاهت رسول القادرى

فى شهر جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ الموافق لشهر سبتمبر ١٩٩٩م . حيث إن قبورهم تذكرنا بالآخرة وتحثنا على خير العمل ، والإقبال على الله، والإعراض عن الدنيا ، رحمهم الله رحمة واسعة .

من المعلوم أن الجد الثالث والرابع والخامس للمصنف تولى كل منهم مناصب حكومية عليا فى أواخر عهد المغول بالهند ، وقد استقال الشيخ أعظم على خان -الجد الثالث للمصنف العلامة- من منصبه الحكومى تفرغا للعبادة ، وكانت هذه نقطة انطلاق هذه الأسرة من المناصب الحكومية إلى الدعوة والإرشاد ، ثم جاء دور مولانا الحافظ كاظم على خان – الجد الثانى للمصنف العلامة – فقد تولى منصب الصرافة فى الجيش واستقال أخيرا من منصبه هذا رغبة فى الدعوة والإرشاد والإقدام على العبادة لله -سبحانه وتعالى- أما مولانا محمد رضا على خان النقشبندى – الجد الأول للمصنف الفاضل – فلم يفكر فى الحصول على المناصب الحكومية الرفيعة بل انكب على دراسة العلوم الإسلامية والعربية ، ثم وهب نفسه لنشر الدعوة الإسلامية ، ثم جاء الدور على مولانا محمد نقى على خان القادرى -والد المصنف- الذى نهل من فيض العلوم الإسلامية والعربية وأسهم فى دفع الدعوة الإسلامية إلى الأمام .

هذه هى النبذة الموجزة عن الأسرة الذى زهدت فى الدنيا وأقبلت على العبادة والعلم وبالتالى لعبت دوراً ملموساً فى النهوض بالأمة الإسلامية ورفع راية الإسلام عالية خفاقة ، وقد كان لهؤلاء الصالحين تأثير بالغ فى نفس الإمام أحمد رضا خان ، والشيء من معدنه لا يستغرب ، فقد

كان جده الأول مولانا محمد رضا على خان من أبناء الطريقة النقشبندية ومن كبار علماء الأحناف في الهند ، كما كان والده مولانا محمد نقى على خان من المنتسبين إلى الطريقة القادرية ومن أعلام الفقه الحنفى فى شبه القارة ، هذا ولم نستطع أن نعرف عن أجداده إلى أى الطرق الصوفية كان انتماؤهم ، والذى عرفنا عنهم أنهم كانوا من الزاهدين فى الدنيا ونعيمها والراغبين فى عبادة الله –سبحانه وتعالى– والآخرة .

بعد هذا التمهيد الموجز الذى نرجو ألا يكون مملا نعود إلى الحديث عن العلامة المصنف فضيلة الإمام أحمد رضا خان وتصوفه المستمد من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فنقول : ولد الإمام فى بيت علم وفضل ، وفى أسرة متدينة تسير على منهج الشريعة والطريقة . وهكذا نشأ الإمام فى جو روحى ، فكان منذ طفولته منقاداً للشريعة الإسلامية الغراء ، ويعود فضل تنشئته على هذا النهج القويم إلى جده ووالده بصفة خاصة بعد فضل الله –سبحانه وتعالى– وفى هذا يقول مولانا محمد أحمد المصباحى: ((إن الشيخ أحمد رضا خان تمسك بالشريعة الإسلامية طوال حياته ، ولم يغفل فى أى فترة من حياته عن القيام بالفرائض والواجبات وعن اتباع السنة المطهرة ، فأصبح قلبه مزكى ومطهراً حيث ظهرت عليه ملامح نور المعرفة الإلهية وهو فى ريعان شبابه ، وهذه الحقيقة المدهشة تتجلى لكل من يطالع حياة الشيخ أحمد رضا خان ولو بالنظرة السريعة)) .

لقد عكف الإمام أحمد رضا خان على دراسة علوم الشريعة منذ

صباه حتى أنه أكمل دراسة العلوم الإسلامية والعربية السائدة فى شبه القارة آنذاك ثم أقبل على دراسة علوم الطريقة وتزكية الباطن . وعن هذا يحدثنا الأستاذ إعجاز الحق القدوسى قائلا: أقدم الشيخ أحمد رضا خان على تزكية الباطن بعدما أكمل دراسة العلوم الظاهرية (الإسلامية والعربية) فاخذ عن الشيخ آل رسول المارهروى الطريقة القادرية فى عام ١٢٩٤هـ الموافق للعام ١٨٧٧م وفى نفس الوقت تشرف بالإجازة فى الحديث والطريقة القادرية بجانب الطرق الصوفية الأخرى ، الأمر الذى جعله مجمع البحرين (الشريعة والطريقة) .

ويزيح مولانا محمد صابر نسيم البستوى الستار عن سبب الشرف الذى حظى به الإمام أحمد رضا خان القادرى حيث إن شيخه أكرمه بالإجازة فى الطرق الصوفية بعد أخذ الطريقة بقليل وذلك على غير عادته إنه القائل : ((كان الشيخ آل رسول المارهروى)) يدرب مريديه على المجاهدة والتربية الروحية وذلك من أجل تزكية النفس ، ثم يمنح الإجازة والخلافة لمن يراه مناسبا ، ولكنه منح الشيخ أحمد رضا خان القادرى ووالده مولانا محمد نقى على خان القادرى الإجازة والخلافة دون تكليفهما بالمجاهدات ، وكان هذا الأمر مثيرا للاستغراب عند بعض المريدين له . فتقدم الشيخ أحمد أبو الحسن النورى بالسؤال عن سر هذا الأمر إلى الشيخ آل رسول المارهروى والذى رد على السؤال قائلاً : يأتينى الناس بقلوب تحتاج إلى المجاهدة لتزكيتها ولكن جاءنى أحمد رضا خان بقلب زكى طاهر ، فلم يكن قلبه بحاجة إلى التزكية بالمجاهدة بل كان يحتاج إلى

الانتساب للطريقة وهذا الذى حصل له بأخذ الطريقة .

لقد قام العلامة المصنف الإمام أحمد رضا خان القادرى بمهمة الإرشاد خير قيام ، وخاصة بعدما نال الإجازة فى الحديث والطريقة . فانكب على الدعوة والإرشاد والرد على البدع والمنكرات ، وقام بهذه المسئولية من خلال مواعظه ، وحواراته فى المجالس ، والمؤلفات القيمة .

يقول الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي متحدثا عن قيام الإمام أحمد رضا خان القادرى بالمهمة الإصلاحية : ((وقد قام بالمهمة خير قيام ، وكان يغار على الشريعة والطريقة معا ، ويرفض التفريق بينهما ، وكان يقول : إن الشريعة منبع والطريقة بحر انفجر من هذا الينبوع ، ولا يمكن الوصول إلى الله –سبحانه وتعالى– إلا بالسلوك على الشريعة ، ومن سلك طريقا غير طريق الشريعة هلك وضل عن طريق الحق)) .

وهكذا عاش العلامة المصنف فقيها حنفيا ، ومرشدا قادريا ، ومقاوما للبدع فى عصر الانهيار السياسى والثقافى والاجتماعى الذى شهدته الهند ، وفى هذا العصر المصحوب بالفتن والحوادث تصدى للرد على خطط الإنجليز ومحاولات الهادكة لإذلال المسلمين ، كما قام بالرد على الفتن التى نشأت باسم الإسلام ، وأقدم كذلك على مقاومة الأفكار الزائغة التى انتشرت باسم التصوف ، جزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين وجعله الله ممن رضى عنهم ورضوا عنه ، وما ذلك على الله بعزيز .

هذه الرسالة :

تعد هذه الرسالة ((الزمزمة القمرية فى الذب عن الخمرية)) من مآثر العلامة المصنف فى التصوف ، وله مؤلفات قيمة أخرى فى هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ((الزبدة الزكية فى تحريم سجود التحية)) ألفها فى الرد على من يرى صحة سجود التحية للصالحين ، فاثبت الإمام أحمد رضا خان القادرى حرمة سجود التحية لغير الله – سبحانه وتعالى– وألف كذلك ((مقال العرفاء باعزاز شرع وعلماء)) قاصداً بها الرد على بعض المنتسبين إلى التصوف والذين لا يرون الشريعة والعلماء موضع الكثير من الاهتمام ، ويفرقون بين الشريعة والطريقة ، وهكذا قام العلامة المصنف بمقاومة كل فكرة راها زائغة .

لقد اندفع المصنف الفاضل إلى تأليف رسالته هذه فى الدفاع عن القصيدة الخمرية للشيخ عبد القادر الجيلاني والذى أحبه العلامة المصنف حباً جماً ونظم فى مدحه قصائد ورباعيات وأبيات رائعة بالعربية والفارسية والأردية ، ولقد أقر نسبة الخمرية هذه إلى مولانا الشيخ عبد القادر ثم انتقل إلى الرد على من توجه بالطعن فى عربية القصيدة فكتب فى ذلك عشر نكات[1] هى :

---

(١) استخدم المصنف فى الأصل كلمة ((نكتة)) ، وهى مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر من نكت رمحه بالأرض أثر فيها وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثر الخواطر فى استنباطها . =

النكتة الأولى : فى الاجتفاء بقواعد اللغة العربية وإهمالها .

النكتة الثانية : فى بيان عدم الاهتمام بقواعد الإعراب من طرف بعض الأئمة والعلماء الكبار .

النكتة الثالثة : فى حال اللغة غير لغة الأم .

النكتة الرابعة : فى أقسام الفن وأحكامه التى يجعلها المتكلم فيها نصب عينها .

النكتة الخامسة : الضرورات الشعرية وآفاقهـــا الواســـعة وذم الانغماس فيها .

النكتة السادسة : السبب النفيس لصدور كلمات رفيعـــة مـــن أولياء الله الصالحين .

النكتة السابعة : فى أن أولياء الله تعالى يلحنون عن عمـــد فـــى بعض الأحيان ولهم فيه أسرار .

النكتة الثامنة : إهمال الأولياء الأجلاء والأئمة والعلماء الكبـــار فى أمر العربية .

= (انظر : التوقيف على مهمات التعاريف للمناوى ص ٧١٠) .

النكتة التاسعة : أن الكمال فى اللغة لا يعد من كمـــال أهـــل الكمال بل يعد من الزوائد .

النكتة العاشرة : لحن المحبوبين أحب من صواب الآخرين .

ومن مطالعة هذه النقاط العشرة تتجلى لنا ثقافة المصنـــف متعـــددة المناحى ، ورسوخه فى العلم ، فإنه أفـــاد من نبع الحديث النبوى الشريف، وكلام الفقـــهاء ، والأدباء ، والصوفية فقـــام بمهمته العلمية خير قيـــام . أجزل الله له المثوبة .

لقد طلب الشريف وجاهت رسول القادرى ترجمة هذه الرسالة من ابننا العزيز ممتاز أحمد السديدى إلى اللغة العربية أيام كـــنا فى مصر ، حيث سعدنا بزيارة مراقد أهل البيت وأولياء الله الصالحين كما تشرفنا بـــالحضور فى رحاب الأزهر المعمور خلال هذه الرحلة ، حـــيث كان لـــنا شـــرف اللقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمـــد ســـيد طنطاوى حفظه الله تعالى .

لقد كانت رغبة الشريف وجاهت رسول القادرى فى ترجمة هـــذه الرسالة نظراً لـــما تحتوى عليه من البحوث الأدبية فلبى ابننا البـــار ممتـــاز أحمد السديـــدى الباحث بـــالأزهـــر الشريف مطـــلبه وبدأ الترجمة غـــير أنه لم يستطع أن يكملها إلا عند عودته إلى باكستان لجمع المـــادة العلميـــة

لرسالة العالمية ((الدكتوراه)) وقتئذ عرضنا أمر التخريج على مولانا عبد النذير السعيدى فقام بالتخريج .

وهكذا تمت الترجمة والتخريج ، ويقوم مركز بحوث الإمام أحمد رضا بكراتشى مشكوراً بطبع هذه الرسالة ، أسأل الله أن يجزى خيرا كل من أسهم فى إخراج هذه الرسالة إلى النور ، وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلماء ملته وأولياء أمته والمسلمين أجمعين.

تحريرا فى غرة جمادى الأولى

١٤٢١هـ

كتبه

محمد عبد الحكيم شرف القادرى

أستاذ الحديث النبوى الشريف

بالجامعة النظامية الرضوية بلاهور

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

لفضيلة الشيخ محمد القادرى الشامى

الحمد لله الرحيم الكريم الغفار ، القادر العلى القهار ، بارىء الليل والنهار ، مجلى الأسرار لعباده الأبرار ، والصلاة والسلام على سيد الأخيار ، وإمام الأنبياء والرسل الأقمار ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل من فى فلكهم دار ، بعدد ورق الشجر وقطر الأمطار ، صلاة ينجو قائلها من عذاب القبر والنار . ورضى الله عن الغوث الصمدانى والكوكب النورانى سيدنا ومولانا الإمام عبد القادر الجيلانى وعن مصنف هذه الرسالة ، وعن كل المجددين العلماء العاملين بهدى سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم- وبعد :

فإنه من فضل الله -سبحانه وتعالى- ومنه وكرمه علىّ أن جعلنى من أتباع وذرية سيدنا ومولانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأكرمنى كذلك أن جعلنى من المحبين لقطب رحى العارفين سيدنا عبد القادر الجيلانى -قدس سره الأنور- وإنى قد كلفت بكتابة تقريظ لترجمة أخى الفاضل الشيخ ممتاز أحمد السديدى لرسالة العلامة الفقيه الحنفى الحيفى ، المحدث ، الأديب ، سيدى الشيخ أحمد رضا خان -رحمه الله تعالى- فاقدمت على كتابة هذه الكلمات رجاء البركة بأثر من آثار هذا الولى الصالح المحب الصادق لصاحب العلم الوافر والحال الظاهر سيدى ومولاى الشيخ عبد القادر الجيلانى . نفعنى الله وجميع المحبين لشيخنا

الجليل بعلومه وأحواله وأفاض علينا من بركاته وبركات كل الصالحين ، آمين .

لقد اطلعت على هذه الرسالة النفيسة ((الزمزمة القمرية في الذب عن الخمرية)) والتي دافع فيها العلامة المصنف بشدة عن الخمرية إذ أن بعض المعاصرين له أنكروا نسبة هذه القصيدة إلى سيدى الشيخ عبد القادر الجيلاني ، تلك القصيدة العصماء التي أتى بها ناظمها هائما في الحب الإلهي ، والتي نسمع دويها في العالم الإسلامي أجمعه ، تلقاها المسلمون كابرا عن كابر بوصفها قصيدة لسيدنا ومولانا الجيلاني فكانوا وما زالوا ينالون من بركاتها حتى عصرنا الراهن ، إذ روى أن من بركاتها على من يقرأها أنه يزيد فهمه بالعربية وإن لم يكن من أهلها وغير ذلك الكثير والكثير .

وإن نسبة هذه القصيدة إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني لمن الثوابت التي لا ينكرها إلا من لم يتذوق حلاوة معانيها والروحانية السارية في كيانها ، وإن من يطعن في لغة هذه القصيدة بقصد نفيها عن ناظمها فلا نملك إلا أن نذكره الحديث القدسي ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)) ونوصيه بتقوى الله عز وجل .

إن مولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني لم يتفرغ لنظم الشعر إنما أقدم على النظم من وقت لآخر لكي يعبر عن أحواله في الحب الإلهي حتى تكوَن له ديوان شعر والذي يعد جزءا هاما من وجدانيات الأدب الصوفي . والخمرية التي نحن بصدد الحديث عنها إحدى قصائده التي اشتهرت في

الآفاق ، فقد لاحظت في بلادي بلاد الشام أن الخمرية هذه تقرأ بنية الفيض والفتح في العلم خاصة في اللغة العربية ، وإن المجالس لتعطر بقراءاتها .

لم ينظم شيخنا الجليل بالعربية دونما تمكن منها بل قرض بها عن إلمام بها وتعمق فيها ، حيث إنها لغة أجداده المسلمين ودينه الحنيف ، فإن نسبه الشريف يمتد إلى سيدنا حسين من طريق أمه ، وإلى سيدنا الحسن من طريق أبيه ، وهذا ما ثبت عند المحققين من أهل التاريخ والنسب ، ومن هنا تتجلى عروبته .

هذا وإنه تضلع من العربية وآدابها بالدراسة ثم بالتدريس فالعطاء الإلهي ، لقد درس العلوم الإسلامية والعربية منذ صباه ببالغ الشغف ، إذ أنه بدأ الدراسة بحفظ القرآن ، ثم توجه إلى كبار علماء بغداد لتلقي العلوم الإسلامية والعربية ، تعلم الأدب واللغة العربية على يد أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، لقد تصدر شيخنا للتدريس حيث كان يقرأ عليه في اليوم أكثر من ثلاثة عشر درسا في مختلف العلوم فانتفع به وأخذ عنه كبار العلماء كالمقادسة ومنهم قدامة بن جعفر، وتربع على كرسي الوعظ كذلك فألقى بالخطب العربية الرائعة ذات إيقاع في نفوس المستمعين والتي نتمتع بمطالعتها ضمن كتابه ((الفيوض الربانية)) والتي تدل على تمكنه من ناصية اللغة العربية ، وقد أورد الإمام الشطنوفي أن شيخنا الجليل رأى جده –صلى الله عليه وسلم – وإليكم تمام القصة على لسان مرشدنا الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني حيث يقول : رأيت رسول الله

-صلى الله عليه وسلم يقول : يا بني لم لا تتكلم (أى تخطب) ؟ فقلت : يا أبتاه أنا رجل أعجمي فكيف أتكلم على فصحاء العرب ببغداد ، قال لي : افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا ، وقال لي : تكلم وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج على فرأيت سيدى على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- قائماً بإزائي في المجلس فقال لي : يا بني لم لا تتكلم ؟ قلت يا أبتاه قد ارتج علي فقال : افتح فاك ، ففتحته فتفل فيه ستا ، فقلت له لم لا تكملها سبعا ؟ قال : تأدبا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهكذا أكرم شيخنا بالعلم اللدني فبلغ من الفصاحة والتأثير مبلغاً باهراً . لقد حباه الله بهذه المرتبة بعدما تلقى العلوم الإسلامية والعربية بنهم ، وقام بتدريسها باهتمام كبير ، الأمر الذى لا يترك مجالاً للطعن في عربيته ، إلا أن بعض المعاصرين لسيدى الشيخ أحمد رضا خان حاولوا أن يبحثوا عن مواطن الضعف في الخمرية حتى يتسنى لهم نفي نسبتها إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ومن هنا انبرى الشيخ أحمد رضا خان للدفاع عن الخمرية فدافع عنها دفاعاً مجيداً ومصحوباً بالأدلة العقلية والنقلية في عشر نكات حيث إنه بين أن كثيرا من فطاحل الشعراء ، والأئمة ، والعلماء لحنوا في بعض الأحيان ، وهذا منهم لا يقلل من قيمتهم الأدبية والعلمية شيئاً.فقد تركزت همم الكثير منهم على المعاني دون الألفاظ إذ أن المعاني في رأيهم كالروح والألفاظ بمثابة الجسد ، فالاهتمام بالروح أولى

من التركيز على الجسد .

إن هذه الرسالة إن دلت على شيء فإنما تدل على غيرة المصنف رحمه الله على الحق . كما تدل على عمق الصلة وشدة المحبة بينه وبين سيدى الشيخ عبد القادر الجيلاني . ويتبين كذلك من عرض المصنف للنكات العشر رجاحة عقله وحداقة رأيه . جزاه الله عن المحبين للشيخ عبد القادر الجيلاني خير الجزاء على ما قدم للعلم ، فإن الزمزمة القمرية شفاء للعليل وإرواء للغليل ، ونور يجلى لنا الحق ويصرف عنا كل دخيل .

وفي نهاية المطاف أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا العمل الطيب المبارك من أخي في الله الشيخ ممتاز أحمد السديدى في ميزان حسناته خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله الله تعالى من مفاتيح الخير ، والنور ، والهداية ، ويجعله قرة عين لسيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولمولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني ، فهو بالإجابة جدير وعلى كل شيء قدير .

كتبه

خويدم الطريقة القادرية العليا في بلاد الشام سوريا دمشق

محمد مُطَرَةْ جِيْ القادرى الحسيني

خريج كلية أصول الدين (قسم الحديث)

من جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الحيي القادر المتعال ، الذى سقى سيدنا كاسات الوصال[1]، وتوج ملكنا بتيجان الكمال ، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى عبد القادر[2] العظيم النوال ، الغوث الغيث الواهب الآمال ، وآله وصحبه خير أصحاب وآل ، وابنه الجليل الجمال الجميل الجلال[3] الذى جَعَلَ قدمَه بأمر القديم على أعناق الرجال[4] ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تُحَصِّلُ الآمال وتصلح المآل ، وأن محمدا عبده ورسوله سيد

---

(١) إشارة إلى لامية الشيخ عبد القادر الجيلاني والتى مطلعها :

سقاني الحب كاسات الوصال   فقلت لخمرتي نحوى تعالى

ومن الجدير بالذكر أن هذه القصيدة هى موضوع حديث العلامة المصنف -رحمه الله تعالى- ، وقصد رحمه الله تعالى بكلمة "سيدنا" الشيخ عبد القادر الجيلانى قدس سره .

(٢) أتى المصنف الفاضل بهذا المركب الإضافى وصفا لسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من باب براعة الاستهلال لأنه سيتحدث فى مصنفه عن مولانا الشيخ عبد القادر وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على تمكنه من ناصية اللغة العربية وبراعته فى النثر العربى .

(٣) هنا يشير المصنف -رحمه الله تعالى- إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى إذ أنه من عترة سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٤) إشارة إلى مقولة أدلى بها الشيخ عبد القادر الجيلانى حين أكرمه الله بالسمو والعلو فأجرى الله على لسانه : "قدمى هذه على رقبة كل ولى لله" .

السادات ومولى الموال ، صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم بتواتر وتوال ، إلى أبد الآباد من أزل الآزال ، وعلينا معهم يا مجيب السؤال ، آمين[1] .

اما بعد فقد وَصَلَتْ -فى منتصف شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٦ هجرية على صاحبها الصلاة والتحية - إلى هذا العبد الفقير عبد المصطفى[2] أحمد رضا المحمدى السنّى الحنفى القادرى البركاتى البريلوى -أغرقه الله وكل من يليه فى بحار ولاء وليه وواليه- والرسالة التى بعثها مولانا محمد إبراهيم القادرى البركاتى المدراسى الحيدر آبادى -سلمه القادر بنوالى الآبادى- والتى جاء فيها بما يلى :

بسم الله خير الأسماء

فضيلة الشيخ مدظله . تسليمات بكل احترام .

إن مولانا محمد وكيل أحمد الإسكندر بورى يتقدم إليكم بالتسليمات ، والذى فى هذه الأيام منكب على شرح لامية الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وكلفنى بأن أفيدكم بهذا الأمر طمعا فى رأيكم فى هذا

---

(١) هذه الخطبة الوجيزة بما فيها من الحمد فالصلاة والسلام على خير الأنام ثم شهادة التوحيد والرسالة مما كتبه المؤلف -رحمه الله تعالى- باللغة العربية التى تعلّمها وتعمّق فيها لأنها لغة الدين الحنيف .

(٢) هذا لقب اختاره المصنف -رحمه الله تعالى- لنفسه نظراً لحبه الشديد بالحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الأخذ فى الاعتبار أن العبودية ليست إلا لله الواحد القهار ، والمراد من كلمة العبد هنا الخادم والمملوك ، وكان المصنف مقتديا بسيدنا زيد بن حارثة الذى فضل أن يكون خادما ومملوكا لسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدلاً من أن يعيش حراً مع أهله وعشيرته .

الصدد ، إنه يرى أنكم مكرّمون بعلو القدر وسمو المكانة وأننا لا نستغني عنكم في شرح هذه القصيدة حتى نستمد من نفحاتها وبركاتها ، وهو يقول : إن عائلته ملتزمة بقراءة هذه القصيدة ، ولما اشتبه أمرها على بعض الناس أصبح من الواجب علينا أن نبدد شكّهم . اهـ

أقول : إن مولانا محمد إبراهيم القادري استشارني مصداقا لقول الله عز وجل ﴿وشاورهم في الأمر﴾(1) وإلا فأين أمر الصلاح من فاقده وانظر في التفاوت بين الاثنين ، وكان هذا العبد الفقير مشغولا في ترتيب مجموعة الفتاوى التي أصدرتها ، كما كنت ساعيا في تبييض وترتيب رسائل والدي ، بالإضافة إلى تأليف رسائل جديدة منها : ((صفائح اللجين في كون التصافح بكفي اليدين)) وفي مثل هذه الظروف أردت أن أعرب عن رأيي بإيجاز وذلك في ٢٥ من شهر ذي الحجة عام ١٣٠٦هـ يوم الجمعة ، ولكنني ما إن جلست لهذا العمل إلا فاضت قريحتي ووجدت المادة العلمية للرسالة جاهزة فأسميت هذه الرسالة المرقبة ((بالزمزمة القمرية في الذبّ عن الخمرية)) .

ورجائي أن تحظى هذه المحاولة بالقبول من الحضرة القادرية ، فإن

(1) سورة آل عمران ١٥٩/٣ .

الأمر غير عسير على الكرام(1) فإذا استحسن مولانا محمد وكيل أحمد كتابتي فليجعلها ملحقا لشرح الخمرية الذي يقوم به وإلا فأنا أعرف نفسي وبضاعتي ، وإنني أقول بكل صراحة وسعيد بكل ما أقول ، إنني متبع العشق ومرتاح في الدارين(2) .

هذا والحمد لله المولى المقتدر والصلاة والسلام على عبد القادر [ويعني به سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم] وآله وصحبه الكرام الأطاهر ، آمين ،وها أنا أقول مجيبا للفاضل المولوي وكيل أحمد السكندر فوري –نورنا الله تعالى وإياه بالنور المعنوي والصوري ، وجعلنا وإخواننا جميعا من الذين لهم من الرب الرحيم حسن وعد مضى ، ومن النبي الكريم ذي الفضل العظيم أحمدُ رضا ، فكان كفيلهم الأحد والوكيل أحمد ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام إلى منتهى العدد ونهاية الأبد .

(1) هذه ترجمة لشطرة فارسية ذكرها المصنف وهي كالآتي :

بر كريمان كارها دشوار نيست

(2) هذه ترجمة حرة لبيت فارسي نصه كالآتي :

فاش ميكويم وازكفته خود دل شادم بنده عشقم وازهر دوجهان آزادم

سند القصيدة الخمرية

إن نسبة القصيدة اللامية الخمرية الغوثية المباركة إلى مؤسس الطريقة القادرية -أعظم الله تعالى شانها وأعلى مكانها- بلغت من الشهرة مبلغا لا بأس به ، والمشايخ اتخذوها ورداً ، وأجازوا بقراءتها ، والألوف من الخواص والعامة يرون صحة نسبة الخمرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى .

لقد أقدم مولانا محمد فاضل الكلانورى -رحمه الله تعالى المعاصر للعلامة سيدى أحمد الحموى صاحب غمز العيون والبصائر شرح الأشباه والنظائر- على شرح هذه الخمرية باسم الرموز الخمرية ، وأقر بنسبة هذه القصيدة إلى شيخنا الجيلانى .

ولنستمع إلى سيدنا أبى المعالى محمد المسلّمى الذى بعده مولانا عبد الحق المحدث الدهلوى من أبناء وعلماء الطريقة القادرية فإنه فى تأليفه «التحفة القادرية» يقول تحت عنوان : الباب الحادى عشر : فيما أخبر به الشيخ عبد القادر الجيلانى عن نفسه ، يقول الشيخ شهاب الدين السهروردى رضى الله تعالى عنه أن الشيخ عبد القادر الجيلانى قال فى مدرسته مراراً وتكراراً : كل ولى على قدم نبى ؛ وأنا على قدم جدى صلى الله تعالى عليه وسلم ما رفع صلى الله تعالى عليه وسلم قدما إلا وضعت قدمى فى الموضع الذى رفع قدمه منه ، إلا أن يكون قدما من أقدام النبوة ؛ فإنه لا سبيل أن يناله غير نبى ، وقد تناول الشيخ عبد القادر هذا المعنى فيما نظمه أيضاً ، إنه القائل :

وكل ولى له قدم وإنى   على قدم النبي بدر الكمال(١)

وإنا نلحظ هذا فى كتب المشايخ ، وفى مثل هذا الأمر بل فى الأهم والأجل منه يكتفى أهل العلم بهذا القدر من الدليل ولا يرون حاجة إلى اتصال السند فقد ذهب إلى هذا أبو إسحاق الاسفرائينى ، ثم الإمام الأجل جلال الدين السيوطى ، ثم سيدى العلامة أحمد الحموى الذى ينقل فى كتابه «غمز العيون» فى شأن كتب الفقه أنه : لا يشترط اتصال السند إلى مصنفيها(٢) .

وقد صرح الإمام المحقق على الإطلاق كمال الدين محمد بن الهمام فى فتح القدير ثم العلامة زين بن نجيم المصرى فى الأشباه والنظائر : «أنه لا حاجة للسند فى عصرنا هذا للنقل عن مجتهد ما إذ يكفى الأخذ من اى كتاب معروف» .

ومن كلامه نستشف أن تداول الأيدى شرط ليكون الكتاب معروفاً(٣) ، ولكننا نرى خاتم المحققين سيدنا محمد بن عابدين الشامى أنه ينقد هذا الشرط ويكتفى بتعدد نسخ الكتاب قائلاً : «وهو حسن وجيه

---

(١) تحفة قادرية (التحفة القادرية) للشيخ أبو المعالى محمد المسلمى ص٧٩ (النسخة الخطية) .

(٢) الأشباه والنظائر (الفن الثالث : أحكام الكتابة) للعلامة زين بن نجيم المصرى (ط: إدارة القرآن : كراتشى) ج٢ ص١٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢ ص١٩٨ .

يتعين المراجعة إليه»[1] وعندما ننظر في أمر القصيدة الخمرية نجد لها شهرة، وتداول الأيدي، أما تعدد النسخ فخارج عن العد[2].

وقد حدث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببعض الأمور إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر -رضي الله تعالى عنه- قبل لحوقه بالرفيق الأعلى، ورد هذا الحديث في إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام محمد الغزالي، والمدخل للإمام ابن الحاج المكي، كما ورد جزء منه في الشفا بتعريف حقوق المصطفى للإمام العلام أبي الفضل عياض؛ وقال الإمام جلال الدين السيوطي معلقا على هذا الحديث: «لم أجده في شيء من كتب الأثر لكن صاحب اقتباس الأنوار وابن الحاج في مدخله ذكراه في ضمن حديث طويل وكفى بذلك سندا لمثله؛ فإنه ليس مما يتعلق بالأحكام»[3].

وموجز القول: إن في مثل هذا الأمر الذي لا يتعلق بالأحكام يكفي هذا القدر من الحجة، ولا حاجة إلى الأسانيد الصحيحة المتصلة أو التواتر، إلا إذا كان هناك كلام يخالف الشريعة بصراحة -والعياذ بالله- فلا تجوز نسبته إلى أي مسلم دون دليل ينص على صحتها، فضلاً عن

(١) حاشية لابن عابدين (ط: دار إحياء التراث العربي بيروت) ج٤ ص٣٠٦.

(٢) إن التزام أسرة الشيخ بإجازة الخمرية مثل سائر الأوراد والأدعية بمثابة السلسلة والسند كسلاسل الطرق التي تتضمن الدعوات وأسماء المشايخ (تعليق العلامة المصنف).

(٣) مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفاء، للإمام جلال الدين السيوطي.

إثبات نسبته إلى الرفيع المنيع (الشيخ عبد القادر الجيلاني) عليه رضوان الملك السميع.

فائدة جليلة[1]:

إنني أرى كفاية في هذه النكتة لما يدور بين الفرقتين الضالتين المعاصرتين تندفع طائفة إلى تجويز وتأييد أقوال نسبت إلى المشايخ شفويا أو في كتب غير ثقات مع أن هذه الأقوال تخالف الشرع الحنيف بصراحة، كما تجعل طائفة أخرى هذه الأقوال المنسوبة إلى المشايخ شفهياً أو في كتب غير موثقة وسيلة للطعن في المشايخ. كل منهما واقعة في الإفراط والتفريط وبعيدة عن الصراط المستقيم، انفصلت الأولى من اتباع الشريعة بزعم حب الأولياء، بينما وقعت الثانية بخدعة اتباع الشريعة في هاوية «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» مع أن رفض هذه النسبة كان أوجب واجب حين انعدام دليل قطعي ومتواتر. يقول الإمام مرشد الأنام حجة الإسلام محمد الغزالي -قدس سره- والعلامة علي القاري -عليه رحمة الباري-[2] «لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق، نعم يجوز[3]

(١) إن نسبة كلمات تخالف الشرع الحنيف إلى ولي من أولياء الله بدون دليل قطعي لا تقبل، وهذه النسبة ترفض وإن كان سنده من الآحاد (تعليق العلامة المصنف).

(٢) إحياء علوم الدين (كتاب آفات اللسان، الآفة الثامنة اللعن) للإمام محمد الغزالي (ط: القاهرة) ج٣ ص١٢٥، منح الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر، للعلامة علي القاري (ط: مصطفى البابي الحلبي، قاهرة) ص٧٢.

(٣) وقع ها هنا في نسخة شرح الفقه الأكبر الشائعة في بلادنا تحريف شديد فنقل فيها لفظ الإحياء هكذا، بل لا يجوز أن يقال: إن ابن ملجم قتل-

أن يقال : قتل ابن ملجم عليا -رضي الله تعالى عنه- وقتل أبو لؤلؤة عمر -رضي الله تعالى عنه- فإن ذلك ثبت متواتراً ، فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق» .

هذه النكتة جديرة بالحفظ فإنها تنقذ من المهلكات الكثيرة إن شاء الله الحفيظ تعالى .

أحكام مراعاة العربية وتركها وتعلمها :

ننتقل الآن إلى ما كان من الطعن في عربية الخمرية ، نقول وبالله التوفيق وبه الاعتصام ، نحرر بعض النكات بالاهتمام ، بعضها أملح من بعض في المقام .

= عليا ، ولا أبو لؤلؤ قتل عمر ، فإن ذلك لم يثبت متواتراً اهـ . وهو باطل صريح كما لا يخفى ، والصواب ما نقلت فلينتبه (تعليق المصنف)

النكتة الأولى
في الاحتفاء بقواعد اللغة العربية وإهمالها

إن الحق -عز وجل- أعطى الإنسان لسانا ، ووهب للسان قدرة البيان حتى يعبر الإنسان عن مكنون خاطره ، وهذا هو المقصود الأصلي والباقي كله من الزوائد ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾[(١)] وإنما البيان هو الإظهار ، إذ به يتبين المرام ويبين أي : يمتاز عن غيره ، أو يبين أي : ينفرد عن ضمير المتكلم الى سمع السامع ، بأن ظهر وامتاز وانفرد ، وأبان : أظهر وميز وأفرد .

وإن العربية كسائر الفنون شعبتان : العلم والعمل ، أما العلم فمن الواجبات الكفائية ، إذ به القدرة على فهم الكتاب والسنة ، ولابد للأئمة المستنبطين والهداة والدعاة إلى طريق الدين من البراعة التامة في العربية ، فإن أمر التكلم في النصوص لا يتم إلا بهذا الخصوص ، وأما العمل فيعني إصدار الكلام حسب القواعد العربية ، وإن ترك العمل بالعربية ينطوي على قسمين :

أولهما إخلال بواجب البيان أي الإتيان بما يفسد الكلام ويبعده عن المرام ، كجعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا في محل الالتباس كما يقول القائل : ضرب زيدا عَمْرو بدلا من قوله : ضرب زيد عَمْراً ، وإنما قيدنا بمحل الالتباس إذ حيث لا لبس لم يكن إخلالٌ بواجب البيان ، وإنما يكون من القسم الثاني كقولك شرب الماء زيداً حيث أحاط السامع

(١) سورة الرحمن ٥٥/ ٣،٤ .

بسياق الكلام[١] ، بل قد لا يكون من الآتي أيضاً حيث بني على نكتة بديعية كما هو المذهب الراجح للبديعيين في القلب ومنه قوله : ((كما طينت بالفدن السياعا)) .

ومن هنا فالقسم الأول بلا أدنى شك مذموم وغير محبب ، ومن يعود به يلام لإتيانه بالعيب ، أما القسم الثاني حيث لا يتغير المراد ولا يفسد الكلام فلا يعتبر إخلالاً بمقاييس البيان وإن كان إخلالاً بواجب العربية ، فإن مقصود البيان أو بيان المقصود حاصل بالرغم من فقد الاتباع لقواعد اللغة العربية ، مثال ذلك أن يأتي أحد بالضاد مكسوراً ، أو بالراء مضموما ، أو بالباء ساكناً حين نطقه بكلمة (ضرب) هذا وقد ذهب علماؤنا إلى أن إتيان الفتحة على الباء بدلاً من الضمة في كلمة (نعبد) لا يبطل الصلاة ، إلا أن من قرأ الفتحة على كلمة ((الضالين)) فإن صلاته تبطل وذلك لتغير المعنى على ما ذكر العلامة الشرنبلالي في ((تيسير المقاصد شرح نظم الفرايد)) حيث قال : المصلي إذا لحن في قراءته لحنا يغير المعنى كفتح لام الضالين لا تجوز صلاته ، ثم قال : إذا لحن ولم يغير المعنى كفتح باء (نعبد) أو كسرها لا تفسد الخ .

قلت : إن في الأولى نظر لمن تأمل ونظر ، والاعتياد بهذا النوع من اللحن بالرغم من علم الناطق ومقدرته لا ينافي الفضل والكمال ، وترك

(١) قيد به لأنه لولاه لاحتمل الحمل على (قتل شرب الماء زيداً) ، فيكون من باب المشاكلة أي كل يوم كان زيد يشرب الماء واليوم شرب الماء زيداً . حفظه ربه (تعليق المصنف) .

العمل لا يدل على عدم العلم ، وعلى سبيل المثال نقول : إن إماما في فن السباحة إذا لم يسبح طوال حياته حتى عند الضرورة بل استخدم القوارب فإن صنيعه هذا لا ينافي علمه وقدرته .

ثم إن عرب الحرمين الطيبين –زادهما الله زينا بعد زين– والبلاد العربية الأخرى منذ أزمان متطاولة يأتون في حواراتهم اليومية ببعض عبارات لا توافق قواعد اللغة العربية وهذه الظاهرة تشمل العامة والخواص حتى العلماء الكبار والفصحاء الأجلاء ، ومع ذلك لا يعابون بالجهل أو العجز ، ولا يطعن في علمهم ولا في فصاحتهم .

لقد سئل أعلم علماء مكة مفتي الحنفية الجليل سيدي عبد الله سراج المكي : إن بعض العرب يغيرون صوت القاف [بما هو معروف في اليمن والسعودية والسودان وصعيد مصر] فهل تجوز الصلاة بهذه اللهجة ؟ فرد عليه قائلاً : إن يقدر لا يجوز وإن لم يقدر يجوز . ومن الجدير بالذكر أنه نطق القاف بنفس اللهجة المسؤول عنها . ومن هنا فلا مجال للطعن في علم سراج الحرم (الشيخ عبد الله سراج المكي) .

ونقدم إليكم نصا صريحا نقله سيدنا محمد بن عابدين الشامي –قدس سره– عن العلامة المحقق عمر بن نجيم المصري –رحمه الله تعالى– وهو كالآتي : لا اعتبار للإعراب عند عامة المشايخ وهو الأصح ، لأن العوام لا يميزون بين وجوهه والخواص لا يلتزمونه في مخاطباتهم ، بل تلك صناعتهم والعرف لغتهم ، ولذا ترى أهل العلم في مجاري كلامهم لا يلتزمونه[١] .

(١) رد المحتار شرح در المختار (كتاب الطلاق ، باب الكنايات) للعلامة محمد بن عابدين الشامي ، ج٢ ص٤٦٥ .

لقد توفى هذا العلامة المحقق إلى رحمة ربه فى العام الخامس بعد الألف للهجرة الشريفة ، إنه لم يكن وحيداً فى رأيه هذا بل سبقه الإمام المحقق على الإطلاق كمال الدين محمد بن الهمام -قدس سره- برأيه التالى : ((هذا الوجه يعم العوام والخواص ، لأن الخاصة لا تلتزم التكلم العرفى على صحة الإعراب ، بل تلك صناعتهم ، والعرف لغتهم ، ولذا ترى أهل العلم فى مجارى كلامهم لا يقيمون))(١)

إنه توفى إلى رحمة ربه فى الثامن من شهر رمضان عام واحد وستين بعد الثمانمائة للهجرة النبوية ، ومن هنا عرفنا أن كبار العلماء منذ خمسمائة سنة تعودوا بعدم مراعاتهم للعربية فى مخاطباتهم وحواراتهم اليومية ، وهل هذا ينقص من شأنهم شيئاً ؟ والعياذ بالله . والله الهادى ، وكنا نقصد من وراء هذا الحديث كله أن نكشف ستارا عن أن مخالفة قوالب اللغة العربية [فى بعض الأحيان] مع علمها والتمكن منها لا تستدعى الطعن ، لذا نرى أن التركيز على الألفاظ ليس من دأب أهل العلم .

(١) فتح القدير ، (كتاب الطلاق ، فصل فى الطلاق قبل الدخول) ، للإمام كمال الدين محمد بن الهمام (ط: مكتبة نورية رضوية) ج٣ ص٢٩٩ .

النكتة الثانية

فى بيان عدم الاهتمام بقواعد الإعراب من طرف بعض الأئمة والعلماء الكبار وثلاثين مثالاً لما أشرنا إليه

يا هذا أرى أن العلماء لا يبالون بالأمور الزوائد لشدة التفاتهم إلى أمر أهم وأعظم فإن اللفظ قالب والمعنى روح عندهم ، والذى يتوجه إلى الروح لا يبالغ فى الاهتمام بالقالب ، ولما كان تركيزهم على المعنى أكثر كانت عنايتهم باللفظ ضئيلة ، فإن المقصود يتمثل فى التعبير عما بداخلهم ، لذا يجد المطلع على كتب الحديث والفقه والأصول وغيرها من العلوم الكثير من المخالفات لقواعد اللغة العربية ينبه عليها الشراح وكتاب الحواشى بقصد تعليم الضعاف فى اللغة دون تعمد إلى تخطئة السابقين ، وهذا الفقير إلى ربه القدير يستطيع إنجاز كتاب مبسوط فى هذا الأمر بالتتبع والتفحص ، وربما يذهب الجهال إلى أن هذا طعن فى الأسلاف والعياذ بالله ، مع أن هذا الصنيع لا ينقص من كرامتهم ومنزلتهم شيئاً ، إلا أن الإشارة إلى مثل هذا الأمر نظرا للضرورة مستحسنة وتدل على قصر النظر البشرى ، وإن الظن بالتهوء على السلف الكبار فى مثل ما نحن بصدده ليس غير إساءة الظن ، وإن ذكر بعضها جدير وأحسن ، فأقول وأعتذر إلى الكرام الكُمَّلة مما دعتنى إليه ضرورة الجهلة .

١- يقول الإمام الهمام مسلم بن حجاج النيسابورى فى مقدمة صحيحه : ((صحبا أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من البدريين هلم جرا)) (١) وهنا لم يكن المحل للإتيان بكلمة ((هلم جرا)) يقول

(١) صحيح مسلم (باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن) للإمام مسلم بن حجاج (ط : قديمى كتب خانه ، كراتشى ، دون سنة الطبع) ج١ ص٢٣ والعبارة=

الإمام العلامة القاضي عياض معلقا على هذه الكلمة : ((ليس هذا موضع استعمال هلم جرا ، لأنها إنما تستعمل فيما اتصل إلى زمان المتكلم بها))[1] وقرره بالنقل في المنهاج[2]

٢- ووردت في مقدمة صحيح مسلم العبارة التالية : ((فإن اسم الستر والصدق وتعاطي العلم يشملهم[3] وهكذا وردت كلمة الستر بكسر السين إلا أن الصحيح بالفتح ، يقول الإمام أبو زكريا يحيى النووي شارحا هذه الكلمة : ((الستر هو بفتح السين مصدر سترت الشيء أستره سترا . ويوجد في أكثر الروايات والأصول مضبوطاً بكسر السين[4] ولو جردنا الصحيح من غيره بالنظر في بعض الروايات والأصول وذلك على سبيل الافتراض لتبين لحن هؤلاء الرواة الجمهور ، والمهم أن المقصود حاصل ، وأما تأويل الإمام النووي بقوله : ((يمكن تصحيح هذا على أن الستر يكون بمعنى المستور كالذبح بمعنى المذبوح ونظائره[5])) فأقول : لا يلائمه معطوفاً كما لا يخفى وإليه أشار الإمام بقوله : (يمكن

=في صحيح مسلم كالآتي : وهذا أبو عثمان النهدي وأبو رافع الصائغ وهما ممن أدرك الجاهلية وصحبا أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هلم جرا.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (ط : دار الوفاء بيروت) ج١ ص١٨٢ .

(٢) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام النووي (ط : قديمي كتب خانه، كراتشي ، دون سنة الطبع) ج١ ص٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ج١ ص٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ص٤ .

(٥) المرجع السابق ، ج١ ص٤ .

الدال على التمريض .

٣- وورد في صحيح مسلم ((أوقفت الخير))[1] وجاء التعليق عليه في المنهاج كالآتي : كذا هو في الأصول ((أوقفت)) ، وهي لغة قليلة ، والفصيح المشهور ((وقفت)) بغير ألف[2] .

٤- وقد وردت رواية في الصحيح البخاري ، وسنن أبي داود ، والجامع للترمذي ، والمجتبى للنسائي ، وسنن ابن ماجه ، وسنن الدارمي عن طريق منصور عن الأسود ، عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله تعالى عنها– ((كان يأمرني فأتزر))[3] بإدغام الهمزة وتشديد التاء وعلماء العربية لا يجيزونه ، لقد ذهب الزمخشري إلى أن : ((قول من قال فأتزر خطأ))[4]

(١) صحيح الإمام مسلم (باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن) ج١ ص٢٢ .

(٢) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج١ ص٢٢ .

(٣) صحيح الإمام البخاري (كتاب الحيض باب مباشرة الحائض) (ط : قديمي كتب خانه ، كراتشي ، دون سنة الطبع) ج١ ص٤٤

سنن أبي داود (كتاب الطهارة ، باب في الرجل يصيب منها الخ) (ط : آفتاب عالم بريس ، لاهور) ج١ ص٣٥ .

جامع الترمذي (أبواب الطهارة ، باب ما جاء في مباشرة الحائض) (ط : أمين كمبني ، دهلي) ج١ ص١٩ .

سنن ابن ماجه (أبواب الطهارة ، باب ما جاء للرجل من امرأته الخ) (ط : ايج ايم سعيد كمبني ، كراتشي) ٤٦ .

سنن النسائي (كتاب بدء الحيض والاستحاضة) ج١ ص٦٧ .

سنن الدارمي (باب مباشرة الحائض (ط : نشر السنة ، ملتان) ج١ ص١٩٤ .

(٤) المفصل في النحو (ومن أصناف المشترك الاعتدال) للزمخشري ، ص٣٦١ .

ويرى ابن هشام أن : ((عوام المحدثين يحرفونه فيقرؤنه بألف وتاء مشددة ولا وجه له لأنه من الإزار ، ففاؤه همزة ساكنة بعد همزة المضارع المفتوحة ويقول العلامة الطيبي : صوابه بهمزتين ، ولعل الإدغام من الرواة[1] وفي مجمع بحار الأنوار : ((هو خطأ لأن الهمزة لا تدغم في التاء))[2] وفي القاموس : ((لا تقل اتزر ، وقد جاء في بعض الأحاديث ، ولعله من تحريف الرواة))[3] وعندما وردت هذه الكلمة في منية المصلي كالآتي : ((إن الجنب إذا اتزر في الحمام الخ))[4] علق عليها العلامة بن أمير الحاج بقوله : الذي تقتضيه القواعد أن يقال : ائتزر بهمزة ساكنة بعد همزة الوصل ، قالوا : ولا يجوز إبدال الياء (أي الحاصلة بقلب الهمزة) تاء الخ[5] .

لا يجوز إدخال حرف الجر على هلم :

٥- إن من المعلوم اطلاع الإمام العلامة القاضي عياض اليحصبي على الأدب العربي وفنون الفصاحة ولكنه يقول : ((من لدن الصحابة -

(١) شرح الطيبي لمشكاة المصابيح (كتاب الطهارة باب الحيض) (ط : إدارة القرآن ، كراتشي) ج٢ ص١٣٧ .

(٢) مجمع بحار الأنوار (باب الهمزة مع الزاء) (ط : مكتبة دار الإيمان ، بالمدينة المنورة) ج١ ص٧٢ .

(٣) القاموس المحيط (باب الراء ، فصل الهمزة) للفيروزآبادي (ط : مكتبة مصطفى الحلبي البابي بمصر) ج١ ص٣٧٧ .

(٤) منية المصلي (ط : مكتبة قادرية ، لاهور) ص١٤٩ .

(٥) حلية المحلي شرح منية المصلي .

رضوان الله تعالى عليهم- إلى هلم جرا))[1] مع أن كلمة ((هلم)) لا تقبل إدخال حرف الجر عليها ، الأمر الذي جعل الفاضل الأديب العلامة أحمد شهاب خفاجي يعلق على هذا التعبير بقوله : في كلامه شيء لم ينبهوا عليه ، وهي إدخال إلى على هلم جرا مقابلة لمن الابتدائية الداخلة على لدن ، وهو غير مسموح بل غير صحيح ، لأنها فعل في الحال أو الأصل على اللغتين ، فكأنه حذف مجرورها وأصله (إلى وقتنا هذا ، وهلم جرا) وهو صحيح أيضا غير جار على وفق كلامهم[2] .

ووردت فيه عبارة أخرى كذلك : ((نحن وأنتم ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا))[3] بالأخذ في الاعتبار أن الانتفاء صفة للمعاني لا للرجال .

لا تستعمل كافة إلا حالا لذوي العقول ولا تضاف ولا تعرف بأل :

٦- وردت في نسيم الرياض العبارة الآتية : ((إلى ما روته الكافة عن الكافة))[4] ويقول كذلك الزمخشري الأديب في خطبة كتابه المفصل :

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي عياض (ط : شركة صحافية) ج٢ ص٢٠٧ .

(٢) نسيم الرياض ، للإمام العلامة أحمد شهاب الدين خفاجي (ط : دار الفكر بيروت ، دون سنة الطبع) ج٤ ص٣٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج٤ ص٥٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ص٤٢٢ .

((محيط بكافة الأبواب))[١] إن الكلمة هذه وردت كذلك فى الكشاف للزمخشرى وخطبة الشاعر الشهير ابن نباته السعدى ، مع أن علماء اللغة العربية صرحوا أنه لا يجوز تعريف هذه الكلمة ولا تصح إضافتها كما لا يصح إتيانها إلا حالا ، يقول إمام النحاة سيبويه فى هذا الشأن : ((إن كافة)) يلزم التنكير والنصب على الحالية ، وقاطبة ، وطرا ، ونحوه .

وفى نسيم الرياض عن كلمة كافة : ((وزاد غيره أنها لا تثنى ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلاء ولم يرد ذلك فى كلام الله ولا كلام العرب ، ووهم من استعملها على خلاف ذلك))[٢] .

ويقول الإمام النووى معلقاً على حديث سيدنا على -كرم الله وجهه- : ((ما خصنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشيء لم يعم به الناس كافة))[٣] هكذا تستعمل كافة حالا ، وأما ما يقع فى كثير من كتب المصنفين من استعمالها مضافة ، وبالتعريف كقولهم هذا قول كافة العلماء ، ومذهب الكافة فهو خطأ معدود فى لحن العوام وتحريفهم .

لا يدخل أل على ((مرة)) :

٧- يقول الإمام البيهقى عن أثر ابن عباس : فى كل أرض أدم : ((شاذ بالمرة))[٤] وهذه الكلمة تكررت عند غيره من المحدثين بهذه الصورة الخاطئة ، يقول العلامة العدوى : إدخال أل على مرة لغة أعجمية صيرت

(١) المفصل ، للزمخشرى ، ص٩ .

(٢) نسيم الرياض ، للخفاجى ، ج١ ص٤٢٢ .

(٣) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج٢ ص١٦١ .

(٤) كشف الخفاء ومزيل الإلباس (ط : مؤسسة الرسالة بيروت) ج١ ص١٢٣ .

الى العرب[١] .

٨- وقد وردت كلمة عرض بالضاد المعجمة بدلا من الصاد المهملة ، يقول العلامة مجد الدين الفيروزآبادى فى هذا الصدد : العرض والمحدثون يلحنون فيعجمون الصاد[٢] .

النسب إلى اثنى عشر باثنى عشرية نسبة باطلة :

٩- وهناك مسائل فقهية يبلغ عددها اثنى عشرة مسألة كلها تتعلق بأمور عارضة تبطل الصلاة عند الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان ولا تفسدها على رأى الصاحبين ، وهذه المسائل اشتهرت على لسان الفقهاء بالمسائل الاثنى عشرية ، مع أن قواعد اللغة العربية لا تجيز هذه النسبة بهذا الشكل . فقد ورد فى البحر الرائق فالنهر الفائق ثم رد المحتار فى هذا الصدد ما يأتى : اشتهرت هذه النسبة وهى خطأ عند أهل العربية ، لأن العدد المركب العلمى لا ينسب إليه[٣] . ويقول العلامة الطحطاوى عن هذه النسبة : هى مشهورة عندهم بهذه النسبة إلا أن هذا الاستعمال غير جائز من حيث العربية[٤] .

كلمة الصلاتية غلط والصحيح صلوية :

١٠- إن عامة العلماء يشيرون إلى نوع من أنواع السجدة

(١) حاشية الخضرى على ابن عقيل .

(٢) القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، ج٢ ص٣١٩ .

(٣) رد المحتار (كتاب الصلاة باب الاستخلاف) للعلامة ابن عابدين الشامى ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٤) حاشية الطحطاوى على مراقى الفلاح (ط : دار المعرفة بيروت) ج١ ص٢٥٨ .

بالصلاتية ولا يكاد كتاب من كتب الفقه يخلو عن هذه الكلمة ، إلا أن الكلمة الصحيحة هي ((الصلوية)) دون ((الصلاتية)) وإلى هذا أشار المحقق على الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام والعلامة غزى في منح الغفار كما هو رأى غيرهما من العلماء الكبار ، وإليكم نص العالمين الجليلين : ((وهذا لفظ المحقق صواب ، النسبة فيه صلوية برد ألفه واوا ، أو حذف التاء ، وإذا كانوا حذفوها في نسبة المذكر إلى المؤنث كنسبة الرجل إلى بصرة مثلاً فقالوا : بصرى لا بصرتى كيلا تجتمع تاءان في نسبة المؤنث فيقولون : بصرتية ، فكيف بنسبة المؤنث إلى المؤنث))[1] .

استخدام كلمة الشفعوية غلط :

١١- إن أكثر الأئمة المتقدمين يستخدمون كلمة الشفعوية بدلا من الشافعية . يقول الإمام طاهر بن عبد الرشيد البخارى : ((الاقتداء بشفعوى المذهب يجوز إن لم يكن متعصبا))[2] الخ ويقول كذلك أستاذه الإمام والفقيه الأجل قاضى خان في الفتاوى القاضى خانية : ((أما الاقتداء بشفعوى المذهب قالوا لا بأس به))[3] وهذه الكلمة وردت كذلك في خزانة المفتين وغيره في الكثير من الكتب ، كما وردت في أكثر

(١) فتح القدير (كتاب الصلاة باب سجود التلاوة) للإمام محمد كمال الدين بن الهمام ، ج١ ص٤٦٩ .

(٢) فتاوى الخلاصة (كتاب الصلاة ، الفصل الخامس عشر في الإمامة والاقتداء) للإمام طاهر بن عبد الرشيد البخارى (ط : مكتبة حبيبيه ، كوئته ، باكستان) ج١ ص١٤٩ .

(٣) الفتاوى للإمام قاضى خان (فصل فيمن يصح الاقتداء به) (ط : نولكشور ، لكنو) ج١ ص٤٣ .

نسخ الهداية العبارة التالية : ((دلت المسألة على جواز الاقتداء بشفعوية))[1] مع أن النسبة إلى الشافعى ليست غير الشافعى ، نبه عليه شراح الهداية حيث قالوا : وقع في بعض نسخها الشافعية وهو الصواب ، لما عرف من وجوب حذف ياء النسبة إذا نسب إلى ما هى فيه ووضع الياء الثانية مكانها حتى تتحد الصورة قبل النسبة الثانية وبعدها ، والتمييز حينئذ من خارج ، فالياء المشددة فيه ياء النسبة[2] لا آخر الكلمة ككرسى ، هذا لفظ البحر[3] ومثله في الفتح وغيره .

كلمة المصطفوية من الغلط العام :

١٢- وردت كلمة المصطفوية في تصانيف أعاظم العلماء ، يقول إمام الأدباء والمحدثين أبو الفضل جلال الدين السيوطى : ((من الحكم المصطفوية صنوفاً))[4] الخ .

يقول العلامة محمد عبد الباقى الزرقانى في مستهل خطبته لشرح

(١) الهداية (باب صلاة الوتر) للمرغينانى (ط : المكتبة العربية ، كراتشى) ج١ ص١٢٥ .

(٢) أقول : الأولى أن يقول : ((ياء هذه النسبة)) ليحترز عن التى كانت قبلها وذلك لأن ما قبلها أيضا قد تكون ياء النسبة ، وإن قلنا على خلاف العرف نظرا إلى اتحاد الكلمتين : أنها ياء آخر الكلمة ، بيد أن المعنى واضح (تعليق المصنف) .

(٣) البحر الرائق (باب الوتر والنوافل) لابن نجيم المصرى (ط : شركة ايج ايم سعيد ، كراتشى) ج٢ ص٤٥ .

(٤) الجامع الصغير للإمام جلال الدين السيوطى (ط : دار الكتب العلمية بيروت) ج١ ص٢ (مقدمة) .

المواهب اللدنية : ((جواهر استخرجتها من قاموس الحكم المصطفوية))(١) مع أن الألف بإجماع أهل العربية تسقط من كلمة المصطفى عند النسبة ولا تتحول إلى الواو ، فقد ورد في الجاربردى : ((قول العامة مصطفوى غلط والصواب مصطفى)) .

١٣- يقول الإمام الكردرى في كتاب المناقب ضمن وصايا الإمام -رضى الله تعالى عنه- ((اذدرى ذلك بعلمك))(٢) وورد كذلك في الأشباه والنظائر حيث إن سيدى أحمد الحموى يقول : والصواب أزرى ذلك بعلمك(٣) .

١٤- ووردت في هذه الوصايا العبارة الآتية : ((لا تخرج إلى النظارات)) (٤) وذهب صاحب القاموس إلى أن : ((النظارة - بالتخفيف- بمعنى التنزه لحن يستعمله بعض الفقهاء))(٥) .

١٥- يقول الإمام الأوحد في الفقه وأصوله والأدب العربي الإمام الأجل على بن أبي بكر الفرغاني : ((فرائض الصلاة ستة))(٦) علق عليه المحقق على الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام بقوله : ((لا يخلو

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (ط : دار المعرفة ، بيروت) ج١ص٢ .

(٢) مناقب الإمام الأعظم ، للكردرى (ط : مكتبة اسلامية ، كويته ، باكستان) ج٢ص٩٥ .

(٣) غمز العيون البصائر مع الأشباه والنظائر ، للحموى ، (ط : إدارة القرآن ، كراتشي) ج٢ ص٣٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢ ص٣٢٨ .

(٥) القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، ج٢ ص١٥٠ .

(٦) الهداية ، للمرغيناني ، ج١ ص٨٢ .

من شيء لأنه إن اعتبر آحاد الفرائض فريضة لم تجز التاء في عدده ، وإن اعتبر فرضا لم يكن ذلك جمعه لأن فعائل إنما يطرد في كل رباعي ثالثه مدة مؤنث بالتاء كسحابة وصحيفة وحلوبة أو بالمعنى كشمال وعجوز وسعيد علم امرأة الخ(١)) .

١٦- وفي كتاب الديات من الهداية قول المصنف : ((قالا وزفر والحسن يقص من الأولى))(٢) علق على هذه العبارة العلامة أكمل الدين البابرتي قائلاً : ((هذا التركيب غير جائز ولو قال : قالا هما وزفر لكان صواباً(٣)) .

١٧- وفي كتاب الإجارات من الهداية وردت العبارة الآتية : ((يجوز طالت المدة أو قصرت لكونها معلومة ولتحقق الحاجة إليها عسى))(٤) علق العلامة بدر الدين محمود على استخدام كلمة عسى بقوله : ((كلمة عسى ههنا وقع مجرداً عن الاسم والخبر تقديره عسى الاحتياج إلى المدة الطويلة يقع ، وأهل العربية يأبون ذلك))(٥) .

١٨- وقد ورد في جواب أما أن إسقاط الفاء من عادة العرب يجده الناظر في مواضع لا تحصى وفي هذا يقول الرضي : ((وجب الفاء في

(١) فتح القدير للإمام كمال الدين محمد ابن الهمام ، ج١ ص٢٣٩ .

(٢) الهداية (فصل في أصابع اليد) ، للمرغيناني ، ج٤ ص٥٩١ .

(٣) فتح القدير ، للإمام محمد ابن الهمام ،ج١ ص٢٢٧ .

(٤) الهداية (فصل في كتاب الإجارات) للمرغيناني ، ج٣ ص٢٩١ .

(٥) البناية شرح الهداية ، للعلامة بدر الدين العيني (ط : المكتبة الإمدادية مكة المكرمة) ج٣ ص٦٢٥ .

جواب أما ... ولا يحذف [أى الفاء] فى جواب أما إلا لضرورة نحو قوله : أما الصدود لا صدود لديكم[1])) .

١٩- يقول العلامة سيدى عبد الرؤف المناوى فى خطبة كتابه : ((جمعت فيه زهاء عشرة آلاف حديث فى عشرة كراريس ، كل كراس ألف حديث))[2] وقال العلامة المحقق زين بن إبراهيم بن نجيم فى كتابه ضوابط وقواعد : ((انحصرت فى هذا الكراس الخ))[3] علق على استخدامه كلمة الكراس العلامة سيدى أحمد المصرى بقوله : ((فيه أنه لا يقال فى الواحد كراس ، وإنما يقال كراسة[4])) .

٢٠- وقال ابن نجيم : ((أما بقضاء القاضى لا))[5] علق عليه العلامة أحمد الطحاوى المصرى بقوله : كان حقه أن تقترن بالفاء ، ومن ثم توهم بعض أرباب الحواشى ، وحمل كلام المصرى على غير ما أراد ، والله المستعان[6] .

٢١- وفى مستهل هذا الكتاب قول المصنف : منها (أى من

---

(١) شرح الكافية ، للشيخ رضى الدين (ط : دار الكتب العلمية ، بيروت) ج٢ ص٣٩١ .

(٢) كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق ، للعلامة عبد الرؤف المناوى (دار الكتب العلمية ، بيروت) ج١ ص٥ (مقدمة الكتاب) .

(٣) الأشباه والنظائر ، ج٢ ص٣٢٢ .

(٤) غمز العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج٢ ص٣٢٢ .

(٥) الأشباه والنظائر ، ج٢ ص٩٤ .

(٦) غمز العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج٢ ص٩٤ .

القواعد) سبعة[1]) علق عليه الشارح قائلاً : كان الصواب أن يقول سبعا لأن المعدود مؤنث[2] .

٢٢- يقول أخوه الأصغر وتلميذه الأكبر العلامة عمر :

وفاسد من العقود عشر إجارة وحكم هذا الأجر

أقول : العقد مذكر وقد كان النظم يحتمل العشرة وإبدال قرينه بالأجرة .

٢٣- يقول الأديب الفقيه والمحقق الأديب سيدى علائى محمد الدمشقى فى شرح متن غزى : ((السكوت كالنطق إلا فى مسائل عد منها سبعة وثلاثين الخ))[3] . أقول : حقه سبعا لأن المعدود المسائل .

٢٤- ورد فيه النص التالى : ((ستتها ثلاثة وعشرون))[4] الخ ملخصا . أقول : بل ثلاث وعشرون وما اعتذر به العلامة الحلبى ، وأقره الشامى[5] فينثلم بما أفاد فى الغمز تحت قوله : سرد منها سبعة[6] .

---

(١) الأشباه والنظائر ، ج١ ص١٧ (خطبة الكتاب) .

(٢) غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج١ ص١٧ .

(٣) در مختار (كتاب الوقف) (ط : مجتبائى دهلى دون سنة الطبع) ج١ ص٤٠٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ص٧٣ .

(٥) قال الحلبى ثم الشامى : أنث لفظ العدد لحذف المعدود الخ (رد المحتار ، ج١ ص٣١٩) (تعليق المصنف) .

(٦) قال فى الغمز (ج١ ص١٧) : كان الصواب أن يقول سبعا لأن المعدود مؤنث على ما هو القاعدة المشهورة لا يقال القاعدة مقيدة بما إذا كان المميز مذكوراً بعد العدد وأما إذا حذف أو قدر فيجوز حينئذ فى اسم العدد إلحاق التاء وحذفها ، لأنا=

٢٥- ونجد فيه : ((فى الحديث من قرأ الإخلاص أحد عشر مرة))[١] علق عليه المصحح بقوله : صوابه إحدى عشرة مرة كما لا يخفى[٢] أقول : إن المروى فى الحديث صحيح ولا يعارض القواعد النحوية ، رواه الدارقطنى والطبرانى والسلفى ، كلهم عن سيدنا على كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً . أما المخالفة النحوية فقد نبعت من عدم الدقة فى النقل .

٢٦،٢٧- ورد فى رد المحتار نقلا عن شرح اللباب : ((الإخلاص اثنى عشر مرة أو إحدى عشر))[٣] علق عليه المصحح بقوله : ((هكذا بخطه ، وصوابه اثنتى عشرة مرة))[٤] أقول : وكذلك إحدى عشرة .

٢٨- فى المنية : ((ذكر فى المحيط : الأظهر أن لا يعود نجساً))[٥] وعلق عليه صاحب الحلية بقوله : الوجه الظاهر أن يقال نجسة لأن البير

=تقول ما ذكر من جواز التاء وعدمها إذا كان المميز الأيام وحدها ، وأما إذا كان غير الأيام فالوجه مطابقة القاعدة الأصلية من إثبات التاء فى المذكر وحذفها فى المؤنث، وأما إذا كانت الأيام مع الليالى فالمسموع حذف التاء تغليبا لليالى ، كذا قرره الإمام السبكى فى رسالته إبراز الحكم قال : وفى كلام سيبويه وابن مالك ما يدل عليه ، انتهى فليحفظ [تعليق العلامة المصنف] .

(١) در مختار (باب صلاة الجنائز) ج١ ص١٢٦ .

(٢) رد المحتار ، للعلامة محمد بن عابدين الشامى ، ج١ ص٦٠٥ (هامش)

(٣) المرجع السابق ، ج١ ص٦٠٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ص٦٠٥ (هامش) .

(٥) منية المصلى (فصل فى النجاسة) ، ص١١٢ .

مؤنثة سماعية[١] .

٢٩- وفى المنية كذلك : ((والفخذ مُغطًى))[٢] علق عليه الشارح المحقق قائلاً : الوجه الظاهر أن يقول المصنف : ((والفخذ مغطاة)) فإن الفخذ مؤنث[٣] .

٣٠- ورد نص فى القنية والأشباه والدرر وغيرها من الكتب واللفظ لابن نجيم : الخلوة بالمحرم مباحة إلا الأخت رضاعا والصهرة الشابة[٤] .

يقول العلامة أحمد الحموى بعد قيامه بالبحث فى معنى كلمة ((الصهر)) : فعلى هذا لا يقال الصهرة على كل حال الخ[٥] قلت : وظنى أنه من المحدثات لا تكاد العرب تعرفه .

هل يستطيع أحد بعد النظر فيما ذكرناه آنفا وفيما يماثله أن يطعن فى كمال فضل العلماء الكاملين وفضل كمال الأئمة المحدثين ، والفقهاء ، والأصوليين أمثال الإمام مسلم ، والإمام البيهقى ، والإمام قاضى عياض ، وعامة رواة الصحيح للإمام مسلم ، وأجلة رجال الصحاح الستة ، والإمام قاضى خان ، والإمام صدر الشريعة ، والإمام الكردرى ، والإمام السيوطى ، والعلامة المناوى ، والعلامة الزرقانى ،

---

(١) التعليق المجلى بهامش منية المصلى ، ص١٧٧ .

(٢) منية المصلى ، ص١٧٧ .

(٣) التعليق المجلى بهامش منية المصلى ، ص١٧٧ .

(٤) الأشباه والنظائر ، ج٢ ص١١٩ .

(٥) غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج٢ ص١٩١ .

والعلامة على القارى ، وأئمة الهدى مصنفى الهداية ، والخلاصة ، والخزانه ، والمنية ، والبحر ، والنهر ، والدر ، وأجلة الأدباء كالزمخشرى ، والزاهدى ، وابن نباته .

لقد قام الإمام أبو سليمان الخطابى بتغليط استخدامهم كلمة وردت فى الحديث : اللهم إنى أعوذ بك من الخبث الخ حيث قال عامة المحدثين : يقولون الخبث بإسكان الباء وهو غلط[١] والصواب الضم[٢] .

وتحدث الإمام أبو زكريا يحيى النووى عن بعض الأسماء كعمرو بن العاص ، وشداد بن الهاد ، وابن أبى الموال حيث قال : أما العاص فأكثر ما يأتى فى كتب الحديث والفقه ونحوها بحذف الياء ، وهى لغة والفصيح الصحيح العاصى[٣] بإثبات الياء وكذلك شداد بن الهادى ، وابن أبى الموالى ، فالفصيح الصحيح فى كل ذلك وما أشبهه إثبات الياء ، ولا اغترار بوجوده فى كتب الحديث ، وأكثرها بحذفها[٤] .

---

(١) أقول : ليس بغلط بل هى قاعدة مطردة فى أمثاله مثل كتب ورسل ونكر وغيرها ، وبهما قرىء فى السبع المتواترات [تعليق المصنف] .

(٢) معالم السنن لأبى سليمان الخطابى ، (ط : المكتبة الأثرية ، سانكله باكستان) ج١ ص١٦ .

(٣) أقول : والصواب عندى أن كليهما صحيح فصيح ، حذف الياء وإثباتها ، وبهما قرىء فى السبع يوم التلاق ، يوم التناد ، يوم يدع الداع ، بل الاكتفاء عن الياء بالكسرة بل عن حروف المد بالحركات باب واسع فى لغة العرب ، قال تعالى : يخاف وعيد ، ياعباد فاتقون ، ذلك ما كنا نبغ ، وعليه فى القنية : جواز الصلاة بقوله : أعُذ بالله مكان أعوذ ، وتعال جدك مكان تعالى [تعليق المصنف] .

(٤) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج١ ص١٠ .

يقول العلامة الزرقانى : العاصى بالياء وحذفها ، والصحيح [هو] الأول عند أهل العربية ، وهو قول الجمهور كما قال النووى وغيره ، وفى تبصير المنتبه قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : سمعت المبرد يقول : هو بالياء ، لا يجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة الخ[١] .

إن كثيرا من الشراح يوجهون النقد إلى عبارات المصنفين من الناحية العربية كما سبق أن ذكرنا الأمثلة ، ومن هنا نسأل هؤلاء الشراح هل مآخذهم على عبارات المصنفين تدل على نقصهم وقصر باعهم فى العربية ؟ فإننا نجدهم يستنكرون هذا السؤال معترفين بغزارة علم هؤلاء المصنفين وكمالهم فى العلوم الإسلامية والعربية ، ورفعة مكانتهم من بين أهل العلم وذلك بسبب أن الهمم العالية لهؤلاء الأعلام تركزت على المعانى ولم تهتم بالزوائد ، وإلا فلا يمكننا أن نعتقد عدم تمكنهم من الإتيان بالعبارات الصحيحة والعياذ بالله سبحانه وتعالى .

يحدثنا العلامة سعد الدين التفتازانى عن الإمام الأجل صدر الشريعة الثانى عبيد الله بن مسعود قائلاً : المصنف[٢] كثيرا ما يتسامح فى صلات الأفعال ميلا منه إلى جانب المعنى[٣] .

---

(١) شرح الزرقانى للمواهب اللدنية (ط : دار المعرفة ، بيروت) ج١ ص٢٩ .

(٢) أقول : حروف المعانى تقوم بعضها مقام بعض كما فى الصحاح ، والتضمين باب واسع فى كلام العرب [تعليق المصنف] .

(٣) التوضيح والتلويح ، للعلامة سعد الدين التفتازانى (ط : نورانى كتب خانه ، بشاور) ص١٠ .

يتحدث الإمام على بن أبى بكر عن صاحب الهداية فيقول : إنه لا يذكر الفاء فى جواب أما اعتمادا على ظهور المعنى(١) .

يقول العلامة الطحطاوى : الفقهاء يغتفرون عطف المستثنى المنقطع على المتصل وعكسه ، إذ ليس المقام إلا لإفادة الأحكام(٢) وإنه يقول ضمن كتاب الشفعة : ((إن الألفاظ قوالب ما لها عبرة ، إنما العبرة للمدعى)) .

يا هذا ، إذا كان استغناء العلماء عن الزوائد لاشتغالهم بالمعنى فما بال الأولياء الصالحين قدست أسرارهم الذين بلغت ميولهم إلى المعانى إلى القمة ، وفى هذا المعنى يحدثنا العارف بالله المولوى جلال الدين الرومى قدس سره وهو يقول : إن مخ العلم كبير وقشره صغير ، فعندما يكبر مخ العلم يرق قشره ويصبح كالمعدوم ، فإنك ترى اللوز والجوز والفستق يرق قشره عندما يكبر لبه ، وكذلك فإن العاشق يزداد فناؤه كلما كبر الحب فى داخله ، والمحب لله تعالى عندما تتمكن من لبه أوصاف القديم الخالق تفنى كنتيجتها أوصاف المخلوق الحادث فإن الاحتفاظ بتواضع الجسد عند امتلاء الروح واستغنائها كالجمع بين الضدين وهما لا يتمشيان معا ، وعندما يتمتع الإنسان بحلاوة وصل الحبيب لا يأبه بالوسيلة التى أوصلته إلى تلك الحلاوة .

جعلنا الله منهم ورحمنا بهم آمين ثم آمين .

---

(١) مفتاح السعادة ، للإمام على بن أبى بكر .

(٢) حاشية الدر المختار ، للعلامة الطحطاوى (ط : دار المعرفة ، بيروت) ج١ ص٩٣ .

النكتة الثالثة

فى حال كون اللغة العربية غير اللغة للعالم

إن العالم الذى هو من أصل عربى لا يحتاج إلى التركيز على القواعد فى لغته الأم ، أما إذا كان العالم [البارع فى العلوم الإسلامية والعربية] غير عربى بالإضافة إلى عدم تركيزه على اللغة العربية [مثل الإمام مسلم ، والإمام البيهقى ، والإمام الفرغانى ، وغيرهم -رحمهم الله تعالى-] فإن وقوعه فى الخطأ اللغوى ممكن . مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا الأمر لا يدل على عدم علمه باللغة العربية ، ولا يجعله فى محل الطعن .

هل يجوز الاستدلال بالحديث النبوى الشريف على العربية أم لا ؟

يا هذا إن علماء العربية مختلفون فى أمر الاستدلال بالحديث النبوى الشريف على العربية ، فإن بعضهم لا يعتبرونه حجة فى هذا الأمر ، وذلك لأن الرواة إذا كانوا من العرب فالحديث المروى عنهم حجة وإلا فلا . لأن النقل بالمعنى أمر شائع ، وفى هذا يقول المحقق على الاطلاق كمال الدين محمد بن الهمام :

((فى المسألة (أى مسألة الاستدلال بالحديث على العربية) ثلاثة مذاهب : الإطلاق ، والمنع ، والتفصيل بين كون الراوى عربيا فنعم ، أو عجمياً فلا(١))) وعلى هذين المذهبين لا تكون مرويات سيدنا سلمان الفارسى ، وبلال الحبشى ، وصهيب الرومى صالحة للاحتجاج بها ، أقول : ويجب استثناء جوامع الكلم ، فليس للنقل بالمعنى إليها من

---

(١) فتح القدير ، للإمام ابن الهمام ، ج١ ص١١ .

سبيل ، وماذا يلحق من شين بالصحابة الثلاثة المذكورين آنفا نظرا لكونهم غير العرب ، وعدم صلاحية الاستدلال على العربية بمروياتهم ؟

يا هذا لقد استخدم الإمام البخارى -عليه رحمة العزيز البارى- والذى كان من أصل فارسى كلمة ((هم)) الفارسية مكان كلمة ((أيضاً)) فى عبارته العربية ورويت عنه كذلك حيث قال : ((يزاد فى هذا الباب هم [كلمة فارسية بمعنى أيضاً] حديث مالك عن ابن شهاب ، ولكنى أريد أدخل فيه غير معاد(١))) ومن الواضح أن الإتيان بكلمة فارسية فى العبارة العربية أكثر من عدم الالتزام بالقواعد العربية . فهل هذا الخطأ يقلل من قيمة الإمام البخارى ؟

يا هذا ! يحدثنا الإمام على بن المدينى أستاذ الإمام البخارى عن الإمام الأجل وشيخ المحدثين الأعلام وكيع بن الجراح أنه كان يلحن ، ولو ذكرت لك تلك الألفاظ تصاب بالدهشة والاستغراب . فقد كان ينطق عيشة بدلا من كلمة عائشة علما على أم المؤمنين عائشة الصديقة -رضى الله تعالى عنها- وفى هذا يقول الإمام الذهبى : وكيع بن الجراح بن مليح ، أبو سفين الرواسى الكوفى ، الحافظ ، أحد الأئمة الأعلام ، قال ابن المدينى : كان وكيع يلحن ولو حدثت بالفاظه لكانت عجبا ، كان يقول : حدثنا الشعبى عن عيشة(٢) .

---

(١) صحيح البخارى (كتاب المناسك باب التعجيل إلى الموقف) ج١ ص٢٢٦ .

(٢) ميزان الاعتدال (ترجمة رقم ٩٣٥٦ ، وكيع بن الجراح) ، للذهبى (ط دار المعرفة ، بيروت) ج٤ ص٣٣٤، ٣٣٥ .

يا هذا ! لقد توجه بعض المخالفين بالطعن فى عربية الإمام الأجل أعظم الأمة الإمام أبى حنيفة -رضى الله تعالى عنه- وهذا الطعن مع الرد عليه مذكور فى التاريخ لابن خلكان وغيره من كتب التاريخ ، ولو افترضنا ضعف الإمام أبى حنيفة فى العربية فلا يرجع ذلك إلا إلى عدم اهتمامه بها نظراً للاشتغال بالمعنى ، ولا يخطر ببال أحد ولو أجهل الناس أن الإمام أبا حنيفة النعمان كان قليل الإلمام بالعربية . بل كان إماماً جليلاً بارعاً فى علوم العربية أيضاً .

يا هذا ! ما سبب عدم الثقة فى عربية الشعراء المولدين ؟ إذ لا نجد عندهم قلة الاهتمام باللغة العربية . بل نجد أن همم الشعراء والخطباء خاصة المتأخرين منهم مركزة على الألفاظ ، ولكنهم مع هذا لا يعتبرون من العرب الخُلص فما سبب عدم الثقة فى عربيتهم مع أنهم ليسوا خارجين من العرب ؟ ومن هنا نقول عن أئمة الدين غير المشغوفين بالألفاظ والذين يرون الاشتغال بالألفاظ أمراً مذموماً غير مهم : إنهم لو قللوا الاهتمام بقواعد العربية فهل جاؤا بما يثير الطعن فى عربيتهم ؟

النكتة الرابعة
فى أقسام الفن وأحكامه
التى يجعلها المتكلم فيها نصب عينيه

أقول وبالله التوفيق : إن الإنسان عند حديثه فى فن من الفنون يجعل حديثه فى أربعة أقسام تالية :

القسم الأول : وهو المقصود بالذات من كل الوجوه يتمثل فى المعانى التى يعتبرها المتكلم فيها مقاصد الفن الذى هو بصدده ، ويسوق الكلام خصيصاً من أجل تلك المعانى كمسائل الصلاة فى باب الصلاة ، ومسائل الصوم فى باب الصوم .

القسم الثانى : مقصود بالذات من ناحية عموم المراد ، ومقصود بالغير من حيث خصوص المقام ، النوع الأول يتمثل فى تلك المعانى التى هى من مقاصد الفن فى حد ذاتها ولكن الكلام لم يسق من أجلها ، ومثال ذلك ورود بعض مسائل الصوم ضمن الأدلة والشواهد فى كتاب الصلاة وكذلك بالعكس ، فإن مسائل الصوم فى حقيقة الأمر وفى حد ذاتها من مقاصد الفقه ولكن ورودها فى كتاب الصلاة أمر تبعى وليس من مقاصد كتاب الصلاة ، والقارىء الكريم يجد أمثال النوعين المذكورين ضمن القسم الثانى كثيرا فى تعليلات «الهداية» وغيره من الكتب المعللة .

القسم الثالث : أمور ليست من مقاصد الفن الأصلية بل هى مقصودة بالذات ، كورود الأحاديث فى كتب الفقه ،أو ذكر مسائل الفقه فى كتب الأصول والحديث ،والقارىء الكريم يجد أمثال القسم الثالث فى

جامع الترمذى بكثرة ، وفى صحيح البخارى بقلة ، وفى كتب الأصول ضمن الأمثلة والنظائر بوفرة .

القسم الرابع : أمور ليست من المقاصد الأصلية ولا من التبعية أصلاً ، إنما هى آلة لبيان المطالب الأصلية والتبعية وهى الألفاظ .

كتب الفروع تفوق كتب الأصول :

انظر أيها القارىء الكريم إلى الآثار التى ترتبت على قلة الالتفات من منظور القسم الثانى والثالث وفى هذا يقول العلامة سيدى أحمد الحموى : لا عبرة بما فى كتب الأصول إذا خالف ما ذكر فى كتب الفروع كما صرحوا به[1] .

ذكر المسألة فى غير بابها مظنة التساهل :

لقد صرح (العلامة أحمد الحموى) كذلك بأن الحكم المذكور فى بابه أولى من المذكور فى غير بابه والذى يخالف الحكم المذكور فى بابه[2] .

ورد فى الدر المنتقى ثم فى رد المحتار ما يلى : استفيد منه أن الحكم المذكور فى بابه أولى من المذكور فى غير بابه ، لأنه كأنه استطراد هكذا أفادنيه والدى فليحفظ . اهـ

وجاء فى حاشية الطحطاوى ما يلى : الذى يظهر أن ما هنا هو المعول عليه ، لأن ذكر الشىء فى غير محله قد يتساهل فيه[3] .

---

(١) غمز العيون والبصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج١ ص٢٤٥ .

(٢) رد المحتار ، للعلامة ابن عابدين الشامى : ج٣ ص١٥٢ .

(٣) حاشية الطحطاوى على مراقى الفلاح .

مما يستدعى التفكير أن التنازل عن القسم الثانى والثالث (المذكورين آنفاً) يؤدى إلى التساهل ، فلابد أن يكون القسم الرابع موضع الإهمال والتساهل ، لذا لا نرى الضعف فى الألفاظ من آداب المحصلين ، ولا يعاب المصنف بسبب هذا الضعف ، كما أننا لا نقول بناء على عدم التنقيح فى المسائل الفرعية الواردة فى كتب أصول الفقه أن المصنف غير فقيه ، أو أن كتبه الفقهية لا تبلغ مبلغ الاعتبار ، وإن نظير القسم الثانى موضح للمرام للغاية ، وقد تقرر أن يكون كلام هذا العالم المذكور فى غير الباب مرجوحاً نظرا للتساهل ، ولو كان هذا الكلام من هذا العالم دالا على عدم دقته فكيف يكون كلامه الآخر المذكور فى الباب مستنداً ؟

من هنا نستطيع القول : إن عدم الاهتمام بقواعد العربية من طرف العلماء (فى بعض الأحيان) ليس إلا بسبب التساهل ، وهذا الأمر لا يثير الغرابة والاستعجاب وكذلك لا ينافى جلالتهم العلمية وفضلهم العميم .

النكتة الخامسة

الضرورات الشعرية وآفاقها الواسعة وذم الانغماس فيها

لقد كان الكلام كله فى النثر فما بال النظم حيث إن مجال الشعر ضيق للغاية ، ولا يمكن المشى فى هذا المجال إلا بصرف الهمة تجاه أمور الشعر الزوائد على وجه الخصوص ، والذى لم ينظم الشعر ولم يتآلف بهذا الفن ولم ينظر فيه لا يعرف ما فى الشعر من ضيق المجال وعسر المقال وبعد المنال ، لذا جاء الشعراء المفلقون والسحرة المؤلفون بأمور فى نظمهم والتى تشوه حلية الفصاحة وتبطل قوانين العربية إذا أتوا بها فى نثرهم ، ألم يرد فى الكتب الأدبية أن القاعدة كذا وشذ الشعر الفلانى عن القاعدة للضرورة الشعرية ؟

نقل عن إمام أهل العربية أبى الحسن الأخفش قوله : حق هذا (كذا وكذا) إلا أنه يجيء فى الشعر ما لا يجيء فى الكلام (ملخص)[1] .

يقول ابن جنى : ((إن احتاج الى ذلك فى شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منفى عليه))[2] .

ويقول الإمام الأخفش : إن صرف ما لا ينصرف مطلقا لغة الشعراء ، وذلك أنهم كانوا يضطرون كثيراً لإقامة الوزن إلى صرف ما لا

(١) الصحاح ، للجوهرى .

(٢) الخصائص ، لابن جنى .

يتصرف . فتمرن على ذلك ألسنتهم فصار الأمر إلى أن صرفوه في الاختيار أيضاً(١) .

سبحان الله : إن الذين عاشوا في أعطاف الشعر حتى أصبح الشعر دينهم ودنياهم وفنهم ، والذين أبحروا في الشعر حتى نالوا البراعة وبلغوا مبلغ السحر في الشعر ، نراهم يأتون بأمور تخالف قواعد اللغة العربية بعذر الضرورة الشعرية ، ولو أنهم أتوا بهذه الأخطاء في النثر لوصفوه بالخطأ وقاموا بتخطئة أنفسهم ، إذا كان هذا حال تلك الصفوة فما بال أئمة الدين وعباد الله المخلصين الذين يرون زيادة الاشتغال بالشعر وكثرة النظم عيبا عليهم ، ومخالفة لقول النبي الأكرم صلى الله تعالى عليه وسلم : ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))(٢) وقد قال النبي –عليه الصلاة والسلام– ((لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً)) رواه الأئمة ، أحمد ، والستة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه(٣) وقال –عليه الصلاة والسلام– : ((هلك المتنطعون ، هلك

---

(١) الخصائص ، لابن جني .
(٢) جامع الترمذي ، ج٢ ص٥٥ .
(٣) صحيح البخاري (كتاب الأدب) ج٢ ص٩٠٩ .
صحيح مسلم (كتاب الشعر) ج٢ ص٢٤٠ .
جامع الترمذي (أبواب الأدب) ج٢ ص١٠٨ .
سنن أبي داود (باب ما جاء في الشعر) ج٢ ص٣٢٧ .
سنن الدارمي (كتاب الاستيذان) ج٢ ص٢٠٧ =

المتنطعون(١) رواه أحمد، ومسلم ، وأبو داود عن أبي مسعود –رضي الله تعالى عنه– وقال –عليه الصلاة والسلام– : ((الحياء والعي شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق)) رواه أحمد ، والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه عن أبي أمامة –رضي الله تعالى عنه–(٢) .

وإن أئمة الذين لا يبغون البراعة في النظم ، والمجال ضيق إذ يبحث الشعراء البارعون عن منافذ للقول ، فعدم اهتمامهم بقواعد اللغة ليس ببعيد ، وفي هذا المقام كنت أستطيع الإتيان بخمسة وعشرين نموذجاً على سبيل المثال مما نظمه أكابر شعراء العرب حيث ذهبت بهم الضرورة الشعرية إلى ما هو خارج عن قواعد العربية ويعد مهجوراً ، ولولا الضرورة الشعرية لكانت غلطة مهجورة ، ولكن شهرة هذه الأمور وظهورها منعني من إيضاح الأمر الواضح .

=سنن ابن ماجه (أبواب الأدب) ص٢٧٥ .
مسند الإمام أحمد بن حنبل (ط : المكتب الإسلامي بيروت) ج٢ ص٢٨٨، ٣٣١ .
(١) صحيح مسلم (كتاب العلم) ج٢ ص٣٣٩ .
مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج١ ص٣٨٦ .
سنن أبي داود (كتاب السنة) ج٢ ص٢٧٩ .
(٢) جامع الترمذي (أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في العي) ج٢ ص٢٣ .
مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج٥ ص٢٦٩ .

على القاصرين ألا يقلدوا كبار الشعراء فى التصرفات النادرة :

ومن الطريف أن التصرفات البعيدة عن القواعد تعتبر من خواص عظماء اللغة والبيان ، بينما منع القاصرون من الإتيان بهذه التصرفات ، فإنهم إن أتوا بها يعتبر صنيعهم هذا من عجزهم .

يقول الإمام المحقق على الاطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام : أما قول الشاعر : ((والأرض أبقل أبقالها)) بتأويل المكان ، فهو تصرف ليس لنا أن نفعله بل إنما أن نؤوّل الوارد عنهم مخالفاً لجادتهم ، لذا لم يورد أهل الشان هذا البيت إلا مثالا للشذوذ ، غير أنهم عللوا الواقع بما ذكروا إلا أنه أعطى ضابط صحة استعمال مثله لمن شاء[1] .

عندما يهمل أهل اللغة قواعدها ولا يعتنى بها من هو معتز ببراعته فى اللغة فمن الغريب أن باب الإهمال لا يفتح لمن لا يعتنى باللغة وقواعدها اعتناء بالغاً (بل ينصب اهتمامه كله فى المعانى) .

يقول الشاعر الفارسى ما معناه : ((عيب علىّ ما هو مبعث الفخر عندك)) .

---

(١) فتح القدير ، للإمام محمد ابن الهمام ، ج١ ص٢٣٩ .

النكتة السادسة

السبب النفيس لصدور كلمات رفيعة من أولياء الله الصالحين والمؤيد بحديث نبوى شريف

لقد تحدثنا حتى الآن عن كلام العوام وأحوال الأنام وأقول وأتوجه الآن إلى الوقت الخاص الذى يحصل للعوام عند حصول المرامات العظيمة ، ويحصل للأولياء الكرام -قدست أسرارهم- حين حصول الوردات الجليلة والتجليات الفخمة بكثرة ، أعنى البهجة التى تحيط مجامع القلب وتلهيه عما حوله ، وهذه اللحظة توالى الألوف وتذوقهم حلاوة ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾[1] لقد ورد فى الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب مثلا يبين حال عبد من العباد ، رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما بألفاظ عديدة عن عدة من الصحابة -رضى الله تعالى عنهم- والغرض يتعلق بأحد ألفاظ مسلم عن أنس بن مالك -رضى الله تعالى عنه- قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ((لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت عنه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة

---

(١) سورة النساء ٤٣/٤ .

عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : ((اللهم أنت عبدى وأنا ربك)) أخطأ من شدة الفرح[1] .

لقد كانت هناك الفرحة المحضة التى ألهته عما يقول حيث إنه يريد شيئاً ولكنه يقول شيئاً آخر . أما أولياء الله الصالحون -نفعنا الله تعالى بهم- فإنهم يتمتعون عند نزول التجليات الإلهية بالبهجة والسرور بالإضافة إلى الاستغراق فى مشاهدة الجلال والجمال الإلهيين وتبلغ بهم هذه البهجة إلى درجة تلهيهم عن أنفسهم ، وفى هذا يقول الإمام جلال الدين الرومى :

كل شيء قاله غير المفيق   إن تكلف أو تصلف لا يليق

لا تكلفنى فإنى فى الفنا   كلت أفهامى فلا أحصى ثنا

ومما قاله الشيخ الرومى فى بيتيه الفارسيين : عندما لم يكن موافقاً للواقع كل ما يقوله (الرجل المشار إليه آنفا) لم يكن التصنع غير لائق جداً ، وماذا أقول فى ذلك الحبيب الذى لم يعرف حقيقته أحد كما حقها ، مع أننى لا أجد عرقا نشيطا فى جسدى .

وفى مثل هذه اللحظات يخرج من أفواههم فى نشوة التجليات الإلهية ما لا يعرفونه حتى أنهم ينسون من هم ؟ وأين هؤلاء ؟ فلا عجب لو خرج من فم أحد ((أنا الحق)) أو ((سبحانى ما أعظم شانى)) بدلاً من

(١) صحيح مسلم (كتاب التوبة) ج٢ ص٣٣٥ .

قوله ((أنت الحق)) و ((سبحانك ما أعظم شانك)) وذلك على غرار ما نقله سيد الأنبياء -عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم- عن عبد من عباد الله تعالى يقول فى شدة الفرح : ((اللهم أنت عبدى وأنا ربك)) بدلا من أن يقول : ((اللهم أنت ربى وأنا عبدك))[1] وقد برره الحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : ((أخطأ من شدة الفرح)) فلا عتاب ولا مؤاخذة عليه شرعا فإن السلطان لا يقبض الخراج من الصعلوك .

جلالة مرتبة الشيخ عبد القادر الجيلانى وبيان الرؤية المنامية التى حظى بها الشيخ خليفه بن موسى رحمهما الله تعالى

هذا ما ذكرناه آنفا حال أهل السكر ، ولكن أخص الخواص الذين جعلهم سلطان الرسالة -عليه أفضل الصلاة والتحية- فى ظل حمايته وتربيته الخاصة ، ومنحهم إمامة الأمة وزعامة الملة بعد أن جعل كلا منهم الوارث الأتم والخليفة الأعظم ، وتأتيهم من الأعلى -جل جلاله- من القوى النبوية والفيوض المصطفية ما تأتى ، بناءً على تلك القوى والفيوض تتأهل قلوب أخص الخواص لحمل الأثقال العظيمة ولا يهتزون ، وعندئذ تصبح آية ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ جُنة لهم ، ﴿وما كذب الفؤاد ما رأى﴾ حماية لهم ، وتتمتع قلوبهم برحابة جليلة تتسع بعد ذلك أفئدتهم لألوف من بحار ((سقانى الحب كأسات الوصال)) يشربونها ولكن تلك النفوس القدسية لا تقطر قطرة فى غير محلها من بحار الحب

(١) ولعل هذا ما عرف فى علم النحو ببدل الغلط .

الإلهى ، وإنهم يتلذذون بمنات من كئوس ((فساقى القوم بالوافى ملالى)) ولكنهم لا ينطقون بحرف يخالف الهُدَى النبوىَّ ، إنهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، المتبعون لخطوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى نوابهم إلى يوم القيام .

إن الرؤيا المنامية التى رآها الشيخ خليفة ابن موسى نهر ملكى -قدس سره- تشير إلى مرتبة الإمام عبد القادر الجيلانى الرفيعة حيث إنه يقول : رأيت رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- فقلت له يا رسول الله لقد قال الشيخ عبد القادر الجيلانى : ((قدمى هذه على رقبة كل ولى لله)) فقال : ((صدق الشيخ عبد القادر ، كيف لا وهو القطب وأنا أرعاه))(1) .

أقول وبالله التوفيق : إن خلاف الواقع يصدر من اللسان دونما قصد حينا وعن قصد حينا آخر ، وقد نفى النبى -صلى الله تعالى عليه وسلم- أن يقول الشيخ عبد القادر الجيلانى خلاف الواقع وذلك بقوله -عليه الصلاة والسلام- ((هو القطب)) بمعنى أنه هو القطب ولا يليق ادعاء القطبية أمامه ، وذلك على أن التعريف للتخصيص ، وليس من شأن القطب أن يكذب فضلاً عن سيد الأقطاب -رضى الله تعالى عنه وعنهم

(1) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ، للشيخ على بن يوسف بن جرير اللخمى الشطنوفى (ط : شركة مكتبة ومطبعة المصطفى الحلبى البابى بمصر ، دون سنة الطبع) ص١٠ .

أجمعين- أما إدلاء القول الذى يخالف الواقع دون عمد إثر نشوة الحب الإلهى فقد برر النبى -صلى الله تعالى عليه وسلم- موقف الشيخ عبد القادر الجيلانى من هذا الأمر بقوله : ((أنا أرعاه)) كأنه يقول : أنا أرعاه بالقوى المحمدية وأثبت قلبه على الهدى ، كما أجعل قلبه ولسانه فى اتباع الأنبياء ، فكيف يمكن أن يقول ابننا ما يخالف الواقع ، أو يدعى مثل أهل السكر بالدعاوى الخالية .

الحمد لله هذا هو المعنى -الذى بيناه آنفا- لما اشتهر عن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى (قدمى هذه على رقبة كل ولى لله) وليس ما ذهب إليه واخترعه بعض معاصرينا ، وإنهم استخرجوا معان لم يقصدها شيخنا الجليل إنما استخرجوها لينكروا فضل الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وتفصيل ذلك فى رسالة هذا العبد الفقير ((مجير معظم)) (١٣٠٣هـ) وفى شرح القصيدة المدحية ((أكسير أعظم)) (١٣٠٢هـ) .

يا هذا إن جلوس الشيخ عبد القادر على المنبر خير تصديق لقول الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم- ((أنا أرعاه)) وهناك أمور أخرى تصدق مقولة الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم- المذكورة آنفاً منها تفضله -رضى الله تعالى عنه- على المنبر واتساع المنبر الشريف مد البصر لورود تجلى الجمال ونمو جسده -رضى الله تعالى عنه- نموا عظيماً ، ثم انكماشه حتى صار كالعصفور وذلك نظراً لتجلى الجلال ، ثم ورود التجلى الأعظم عليه -رضى الله تعالى عنه- والذى لا يمكن تحمله إلا بقوة النبوة ثم تمايله إلى الأرض إلى حد السقوط على الأرض فظهور الحبيب

السـمصطفى -صلى الله تعالى عليه وسلم- لإنقاذه من السـقوط بـالقوى الإلهية التى كان الحبيب المصطفى -صلى الله تعالى عليه وسـلم- يتمتع بها[1] وأمثال هذه الأمور مذكورة بالتفصيل فى البهجة المباركة وغيرها من الكتب المعنية بسيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وأنه -رضى الله تعالى عنه- القائل : ما رفع المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قدما إلا وضعت أنا قدمى فى الموضع الذى رفع قدمه منه ، إلا أن يكون قدما من أقدام النبوة ، فإنه لا سبيل أن يناله غير نبى[2] .

ومما قلته فى مدح سيدنا الشيخ

١- لقد جاء التاج وعرش سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام من الشام إلى العراق . السلام عليك يا وارث ملك سليمان .

٢- إن قيامك بوضع القدم من حيث يرفع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدمه المباركة غير أقدام النبوة فإنه لا سبيل أن يناله غير نبى .

٣- يا رئيس ندوة ((كاسات الوصال)) يا من يرمى جرعة نصيبا للأرض من كأس الكرام .

٤- والعجب أن تاج قدمك على الرؤس للعون إلى ملك بغداد وكأس عشقك فى أفواه محبيك (أى يشربونها) .

---

(١) بهجة الأسرار ، للشطنوفى ص٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٢ .

٥- لو أنك تمر على بيت أظلمه الهم والحزن لتعالت هتافات السرور من الساحة ونزلت الأنوار من الجدران .

٦- إن الروح فداء لرأسك المبارك ، وما أحسن سيادتك التى على أرضها الرؤس ساجدة (لجلالة الله خالقك) .

٧- لا أبقى الله رأس متمرد يحوّل رأسه عنك تكبرا ، فإن رؤس السادة البارزين مفروشة تحت قدمك .

٨- إننى أنهى كلامى بمدح رأسك المبارك فإن ما أقوله فى مدح رأسك المبارك كلام عادى للغاية ولابد أن أخرج فكرة مدحك من رأسى والسلام على قدمك من الرؤس الكثيرة .

٩- مائة سلام على جمالك من أحمد رضا الصعلوك يا من تمثلت فيه السيادة[1] .

---

(١) هذه ترجمة عربية لأبيات نظمها الإمام أحمد رضا خان بالفارسية فى مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى .

يستهل الشاعر منظومته هذه بالاشارة إلى مدى تأثير الشيخ عبد القادر الجيلانى وتعليماته الصوفية فى العالم الإسلامى مشبها ذلك بملك سليمان ، كما يشير فى البيت الثانى إلى مقولة الشيخ عبد القادر الجيلانى سالفة الذكر وفى البيت الثالث يسلك الشاعر مسلك الرمز فيتخذ من لامية الممدوح رمزا للحب الإلهى ويسأله شيئاً من هذا الحب مستشهدا بقول القائل : ((وللأرض من كأس الكرام نصيب)) وهذه غاية التواضع كأن الشاعر أرض يسأل ممدوحه الكرم، وفى البيت الرابع يذكر الشاعر قراءة مقولة الشيخ عبد القادر الجيلانى : ((قدمى=

خلاصة القول : إن سيدنا الشيخ –رضى الله تعالى عنه– يعد بحق إمام الفريقين ونظام الطريقين ، وسيد أصحاب الصحو ، والوارث الأكمل لسيد المرسلين –صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين وبارك وسلم– لذا نرى أن الله تعالى حمى سيدنا الشيخ من شطحات السكر ، وأكرمه بجعل أقواله وأفعاله وأحواله وأعماله سببا لإحياء الملة ومطلبا للسنة ، فإنه لا يقول حتى يؤمر بالقول ، ولا يعمل حتى يؤذن ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه وحشرنا في زمرة من تبعه ووالاه ، آمين .

ومع هذا وذاك هناك التجليات العظيمة والواردات الجسيمة التى يلهى عشر معشارها عامة الناس عن أنفسهم ، بيد أننا لا نجد عند سيدنا الشيخ عبد القادر غير الاطمئنان والاستقامة ، ولكننا فى بعض الأحيان نرى منه عدم الاهتمام بالألفاظ حيث لا نجد الحفاوة ببعض القواعد العربية ، فليس هذا محل الاستغراب ، يا هذا لو كان الأمر كما قلنا فإن

=هذه على رقبة كل ولى لله)) ونرى الشاعر من خلال البيت الرابع أنه يطلب من روح شيخه الجليل الكرم حيث إنه يرى ويعتقد أن الله تعالى أكرم أرواح الأولياء بقوة التصرف فى الكون ، والبيت السادس يعرب عن حب الشاعر بالممدوح ، وما أجمل التعبير ، وفى البيت السابع يدعو الشاعر على من ينكر فضل ممدوحه ، وفى المقطع يعبر الشاعر عن عجزه عن مدح الشيخ الجيلانى سالكا مسلك التواضع ، والمنظومة تدل على حب الشاعر بالممدوح ، وتمكنه من ناصية اللغة الفارسية . تعليق من المترجم ممتاز أحمد سديدى كان الله له .

شيخنا أهمل جانبا من الأمور الزوائد والشكر لله تعالى الذى أنقذه من الزلات فى الأمور التى تعد من أساسيات الدين وذلك خلال ورود التجليات الجسيمة والواردات العظيمة والحمد لله رب العالمين .

النكتة السابعة

فى أن أولياء الله تعالى يلحنون عن عمد فى بعض الأحيان ولهم فى ذلك أسرار

إنه أمر غامض أن أولياء الله تعالى -قدّسنا الله تعالى بأسرارهم- يلحنون عن عمد فى بعض الأحيان ، ولهم فى أمرهم هذا أسرار أنظارنا قاصرة عن إدراكها ، يحدثنا الشيخ كليم الله الجشتى الجهان آبادى فى كتابه الرقعات عن ((صلاة الأسرار)) أى الصلاة الغوثية (وهى تتمثل فى التوسل بالشيخ عبد القادر الجيلانى إلى الله سبحانه وتعالى) وإنه بعد سرد الترتيب لهذه الصلاة يقول : ثم يصلى على حضرة النبى -صلى الله تعالى عليه وسلم- فيردد الرباعية التالية ألفا ومائة وأحد عشر مرة

أيدركنى ضيم وأنت ذخيرى   أأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى

فعار على حامى الحمى وهو   إذا ضاع فى البيداء عقال بعيرى

كل حاجة يطلبها (من ربه بوسيلة الشيخ عبد القادر الجيلانى) فإنها تقضى ، وفى بعض الأحيان تظهر الروح الطاهرة للشيخ عبد القادر الجيلانى فترد على السؤال ، واعلم أن فى كلمتى حامى الحمى بعض الخلاف ، فإن الشيخ أبا يزيد يقول : إذا أراد الرجل زيارة الشيخ عبد القادر الجيلانى فعليه أن يقرأ حامى الحماء بكسر الحاء وفتح الهمزة بدلا من حامى الحمى ، وإذا أراد صداقة أحد ، أو حصول وظيفة أو الزواج يعنى أراد حاجة تتضمن معنى الاتصال فعليه أن يقرأ بضم الهمزة ، وإذا

أراد قهر الأعداء يعنى طلب حاجة تتضمن معنى الكسر فيقرأ بكسر الهمزة ، مع أن وزن البيت لا يستقيم لأن الألف المقصورة والممدودة لا تستقيمان مع الوزن ، كما لا تمشيان مع التحليل النحوى أيضاً ، فإن كسر الهمزة (فى كلمة الحماء) أنسب ولا يجوز فتح الهمزة ، وكتب إلىَّ الشيخ فريد ميرتى وهو يقول إنه يقرأ لفظ ((الضيم)) مرفوعا بالفاعلية ألف مرة ، بيد أن الشيخ أبا يزيد يقرؤه منصوبا على أنه التمييز من الضمير المستتر فى ((يدرك)) وذلك على غرار رُبَّه رجلا . انتهى بلفظه الشريف .

لذا أوصى بعض المشايخ أن اللفظ يقرأ كما نقل عن أولياء الله الصالحين -قدست أسرارهم- ولا يغير اللفظ وإن كان اللحن يفرض نفسه فى ظاهر الأمر ، فإن لهم أسرارا لا نعلمها ، والبركة مطروحة فيما نطقت ألسنتهم .

النكتة الثامنة

إهمال الأولياء الأجلاء والأئمة والعلماء الكبار في أمر العربية

إن الإنصاف خير الأوصاف ، وعلى المنقص من قدر القصيدة الخمرية المباركة أن ينظر في المثنوى المعنوى للإمام الأجل والعارف الأكمل سيدى ومولاى محمد بن محمد بن حسين جلال الملة والدين البلخى الرومى –قدس سره الشريف– فإنه يجد في عباراته العربية ضمن الأبيات أو الأشعار الكاملة او المصاريع ، أو أجزاء المصاريع مئات الأمور لو رآها من منظور قواعد العربية حقيقة أو بنظر التنقيص لاعتبرها أخطاء ، هذا في العبارات العربية ، أما العبارات الفارسية فنجد فيها ألفاظاً لا تعد ولا تحصى لو قرأناها بالنطق الصحيح لوقعنا في زحافات يرفضها النظم الفارسي ويكرهها الطبع والسمع السليمان ، ومن هنا فإنه لا يستطيع أحد غير الذى لم يعرف تعظيم الأولياء أن يصف الشيخ الرومى بعدم البراعة في قول الشعر ، أو العاجز عن النظم اللطيف ، ومن الممكن أن يتفوه المتمرد على الشيخ الرومي الر إصابته بالجنون فينفي عن الشيخ الرومي قيامه بتصنيف المثنوى المعنوى ، إننى أقدم إلى حضراتكم بعض النظائر من القسم الأول (اللحن في العبارات العربية) قال (الشيخ الرومى) قدس الله سره وأفاض علينا نوره

ع : تا إليه يصعد أطياب الكلم .

ف : هكذا تعرج وتنزل دائما *** ذا فلازالت عليه قائما

ع : مرء مخفي لدى طي اللسان

ع : بازخوان فأبين أن يحملنها

ف : سر امسينا لكرديا بدان *** راز أصبحنا عرابيا بخوان

ع : يشهد الله والملك وأهل العلوم

ع : كاد فقر أن يكن كفر كبير

ع : كفت بغمبر كه عيناى تنام

ع : لحن خواندن لفظ حي على الفلاح

ف : كونى الله أكبر وآن شوم را *** سربريتا وادهد جان ازغنا

ف : الكياسة والأرب لأهل المدر *** الضيافة والقرى لأهل الوبر

ع : ليك إذا جاء القضا عمى البصر

ف : أعط ما شاءوا وراموا وضهم *** ياظعينا ساكنا في أرضهم

ع : استعينو في الحروب يا ذو النهى

ع : كفت : المرؤ مع محبوبه

ع : كل شيء ما خلا الله باطل

ع : كفت أليس الله بكاف عبده

ع : جون محبم حب يعمى ويصم

وفى هذه المجموعة يجد القارىء الكريم نظائر القسم الثانى (اللحن فى العبارات الفارسية) أيضاً ، إلى غير ذلك مما يكثر عدها ويطول سردها ، سبحان الله ، ألم يكن الشيخ الرومى يعلم أن ثمة همزة مفتوحة بعد الفاء لا الألف فى قوله : فأبين أن يحملنها ، ألم يكن يعرف أن العين ليست ساكنة فى : ((حى على الفلاح)) وقس على هذا ما تركنا ، حاشا وكلا إن الشيخ الرومى علمه غزير ، وكماله كبير ، وشأنه عظيم وقدره فخيم ، هذه الأمثلة التى قدمناها لا تساوى شيئاً ، إنه –رحمه الله تعالى– كان ملما بحقائق العربية ودقائقها قطعا وجزما ، وإنه أتى بهذه العبارات (التى أشرنا إليها) عن عمد ، وذلك لأنه كان مركزاً على إفادة المقاصد العالية ونظم الفرائد الغالية ، فكان يتجنب الخلل فى تحقيق هذا الهدف ، وكان يفضل الاشتغال بالأمور المهمة من الاهتمام بإصلاح الأمور التى تعد من الزوائد ، وأنا لا أدرى ماذا يقول المتمرد على الشيخ عبد القادر الجيلانى عن الشيخ الرومى ، فإن كان يرغب فى الطعن فعليه بالدفتر الثالث من الجزء الأخير من المثنوى حيث يتحقق مطلبه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تعالى وتبارك .

النكتة التاسعة

إن الكمال فى اللغة لا يعد من كمال أهل الكمال بل يعتبر من الزوائد

يقول العبد الفقير إلى الله العلى القدير أن حقائق اللغة والعروض لا تعد من الكمال الدينى ولا ينحصر عليها كمال دينى بل هى زوائد محضة ، فماذا ينقص بنقصها ، إن المقدمة الأولى تبين لنا أن الكفار شركاء فى الإلمام بحقائق اللغة والعروض ، وهناك بون شاسع بين شعراء الإسلام وشعراء الجاهلية وذلك واضح فى القرآن الكريم ، والله سبحانه وتعالى هو القائل عن الحبيب المصطفى –صلى الله تعالى عليه وسلم– : ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾(١) أما المقدمة الثانية فيتجلى صدقها من حديث الرسول –صلى الله تعالى عليه وسلم– : ((أنتم أعلم بأمور دنياكم)) أخرجه مسلم فى صحيحه عن أم المؤمنين الصديقة وأنس بن مالك(٢) .

وفى حديث جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : ((خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابى والعجمى فقال : اقرأوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام

---

(١) سورة يسين ٣٦/٦٩ .

(٢) صحيح الإمام مسلم (كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعا الخ) ج٢ ص٢٦٤ .

القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)) رواه أبو داود(١) والبيهقي في شعب الإيمان(٢) ومما هو معلوم أن لهجة الأعاجم والأعراب لم تكن من الفصاحة بمكان بمثل لهجة العرب ولكن النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- استحسن وقرر لهجتهم ، كما استنكر التجويد الذي لا فائدة له والذي يهتم بالزوائد ويهمل المقصود ، والعياذ بالله رب العالمين .

تكريم سيدنا الشيخ عبد القادر بالفصاحة من رحاب النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم- :

هل عدم إلمام الصحابة الأعاجم والأعراب باللغة العربية الفصحى مثل العرب المتأخرين يورث النقصان ؟ لم ربنا -عز وجل- لم يحرم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني من فضل الفصاحة والبراعة في لغة الضاد .

انظروا في بهجة الأسرار حيث ورد أن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رأى جده صلى الله تعالى عليه وسلم فدار بينهما الحوار على النحو الآتي : يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني : رأيت رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- فقال لي : يا بني لم لا تتكلم ؟ (أي لا تخطب) قلت : يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم على فصحاء العرب

---

(١) سنن الإمام أبي داود (كتاب الصلاة ، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة) ج١ ص١٥

(٢) شعب الإيمان (ط : دار الكتب العلمية بيروت) ج٢ ص٥٣٨ .

ببغداد ، قال لي : افتح فاك ، ففتحته فتفل فيه سبعا ، وقال لي : تكلم على الناس ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصليت الظهر وجلست ، وحضرني خلق كثير فارتج علي ، فرأيت علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه قائما بإزائي في المجلس فقال لي : يا بني لم لا تتكلم ؟ فقلت : ((يا أبتاه قد ارتج علي)) فقال : ((افتح فاك)) ففتحته فتفل فيه ستا ، فقلت : لم لا تكملها سبعا ؟ فقال : تأدبا مع رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-(١) وبعد هذا تفجرت بحار العلوم من صدره الشريف إلى لسانه الطاهر وأدلى بكلام فصيح سلس للغاية بطلاقة بالغة ، الأمر الذي جعل فصحاء العرب ينقادون وينحنون لفصاحته ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾(٢) ولو كان سيدنا الشيخ تفضل بكلام لا ينسجم مع كلام العرب قبل هذا العطاء النبوي فذلك الكلام ليس بمحل القول والطعن فيه ، ويمكن أن تكون الوقائع والأحداث التي ظهرت بعد العطاء المصطفيّ من باب الإلقاء من الله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) بهجة الأسرار ، للشطنوفي ، ص٢٥ ، ٢٦ .

(٢) وهنا أورد الشيخ أحمد رضا خان بعض الأبيات الفارسية في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني مما نظمه أبو المعالي ، والفريتي ، كما ذكر رباعية أردية نظمها العلامة المصنف بنفسه ، فرأيت ألا أورد هذه الأبيات الفارسية التي أخشى ألا أتمكن من إبراز جمالها .

النكتة العاشرة

لحن المحبوبين أحب من صواب الآخرين

لقد كان الكلام كله من منظور أن غرض الطاعن في القصيدة الخمرية هو نفي نسبتها عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، يعني أن الطاعن يرى أن في لغة هذه القصيدة كلاماً لذا لا يصح نسبتها إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني -رضي الله تعالى عنه- ولو كان طعنه في القصيدة بعد إثبات نسبتها إليه -رضي الله تعالى عنه- فليكن الجواب عني وجه العصبية ، فإن هذا الرجل العصبي يجد جزاء عمله يوم الجزاء . لأنه لا يطعن في المحبوبين عند الله تعالى إلا شقي وعنيد ذو فساد في الدين والعياذ بالله من كل فساد .

يا هذا لو اعترفنا بلحن صريح في بعض الكلام لأحد المقربين إلى رب العالمين -جل جلاله- بغض النظر عن هذا وذاك فإن لحنه أحب إلى الله سبحانه وتعالى مائة ألف مرة من صوابك أنت ، اسمع ماذا يقول الشيخ الرومي -قدس سره- في -المثنوي المعنوي- إنه القائل : إذا كان حديثك غير مستقيم (أي من ناحية القواعد) والمعنى سليم فإنه مقبول عند الله تعالى ، وإذا كان الزيغ في المعنى والكلام مرصع فلا يليق ذلك الكلام بشيء من الحفاوة .

في بيان أن خطأ المحبين خير من صواب غيرهم :

يقول الشيخ الرومي -رحمه الله تعالى- : ذلك بلال الصادق الذي كان يلحن في الآذان للصلاة فيغير حي ويقول هيّ ويؤذن بكل التواضع

حتى قال أصحاب الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم- إن هذا اللحن (هيّ) غير مستقيم ونحن في مستهل عهد الإسلام .

قالوا أيها النبي الرسول -عليك الصلاة والسلام- نريد مؤذناً أفصح من بلال ، فإن اللحن في حي على الفلاح في بداية عصر الإسلام ليس إلا عيبا ، فظهرت آثار الغضب على رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- وكشف الغطاء عن بعض العطايا الإلهية السرية على سيدنا بلال قائلاً : إن لحن بلال أحب إلى الله سبحانه وتعالى من مائة حي على الفلاح من غيره من الطاعنين في لحنه فلا ترفعوا أصواتكم حتى لا أفشي أسراركم من البداية إلى النهاية .

اللهم إني أعوذ بك من جهد بلائك ، وأسألك حسن الأدب مع جميع أوليائك ، آمين ، آمين ، آمين ، إله الحق آمين ، والحمد لله رب العالمين .

تنبيه نبيه[1]

الحمد لله سبحانه وتعالى ، فقد وصل الكلام نهايته ، وبلغ ارتياب رتاب منتهاه ، ولقد بقى أن أبين أن حديثى هذا من البداية حتى النهاية كان بناء على الافتراض بأن فى القصيدة الخمرية بعض المخالفات لقواعد العربية ، فلينظر المنكر لفضل سيدنا الشيخ فى افتراضنا بعض الأخطاء اللغوية فى القصيدة الخمرية ولكن بركات الشيخ عبد القادر أيدتنى فاستطعت أن أجعل إنكار المنكر هباء منثورا ، وإننا نريد أن تقنع الطاعن فعليه أن يخبرنا بما يختلج فى خاطره بالتفصيل حتى نبسط له الكلام ونتمتع بالمزيد من بركات سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى ، يا هذا لا تستحى فى إبراز خواطرك حتى نعرف ماذا فى الخمرية من الأغلاط والتى بسببها ترفع الصيحات ، أرجو أن يتجلى الحق للطاعن فى لغة القصيدة بإذن الله القادر سبحانه وتعالى .

يا هذا إن الإنسان يظن الصحيح غلطا بسبب جهله وذلك فى أمر المحبوبين عند رب العالمين –جل جلاله– وصدق المتنبى حين قال :

وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم

---

(١) إن هذا التنبيه يتوجه إلى من ينفى نسبة الخمرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وبالتالى إلى الذى يطعن فى لغة القصيدة مع إثبات نسبتها إلى سيدنا الشيخ ، ولكن هذا التنبيه يتوجه بصفة خاصة إلى الطاعن فى لغة القصيدة (تعليق من المصنف) .

وإن أهل العصبية والعناد يمارسون الطعن فى أهل الحق ، وتصفر وجوههم عندما يطلب منهم ما يثبت دعواهم وذلك على حد قول الشاعر :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها   حسدا وبغضا إنه لدميم

يا هذا عليك بنفسك حتى لا يتبين غباؤك وجهلك بالعلوم والحرمان من الوصول إلى المفاهيم ، والوقوع فى الخطأ حيث قال القائل :

يا ناطح الجبل العالى ليكلمه   اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ويقول هذا العبد الفقير إلى الله العلى القدير [فى بيت فارسى ما معناه كالتالى] : يا من يضرب الجبل برأسه حتى تجعله مثل الشعر ، لا تشفق على الجبل اشفق على رأسك .

إن هذا العبد الضعيف –غفر الله تعالى له– نظر فى القصيدة المجيدة نظرة تفصيلية –والحمد لله تعالى– لم يجد من أولها إلى آخرها موضعا يوصف بالخطأ ، وذلك بعد إحاطة مسائل الأدب ، واللغة العربية ، ومجريات الشعر ، وفن العروض ، ونقاط المعانى ، ولطائف الفكر الصائب والنظر الثاقب ، اللهم إلا موضعا رفع فيه الشك رأسه ، ولكن هذا الشك سوف يزول ببركة انتسابنا إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى –إن شاء الله تعالى– ولو افترضنا بقاء شبهة فى موضعها فلا يجعله سببا للطعن فى القصيدة إلا جهول ، والذى يُدخل نفسه فى مثل هذه المطاعن ماذا يفيد من الصحاح الستة ، والشفاء للقاضى عياض ، والهداية ، والفتاوى

الخانية ، والأشباه والنظائر ، والدر المختار ، وغيرها من جلائل الأسفار والتى سبق أن ذكرناها ضمن النكتة الثانية ، ثم ماذا تكون مرتبة هؤلاء الأعلام فى نظر ذلك المجهول عن منزلة تلك الصفوة المختارة .

أسأل الله العلى القدير أن يلهمنا بوسيلة محبوبيه حب الأولياء والعلماء ، وأن يعلمنا حسن الأدب معهم ، ويميتنا على الدين الحنيف والملة البيضاء ، إنه ولى ذلك والقدير عليه ، والخير بيديه ، والأمر إليه ، وصلى الله تعالى وبارك وسلم على المولى الرؤف الرحيم الأكرم وآله وصحبه سادات الأمم ، وابنه الكريم ، الغوث الأعظم (الشيخ عبد القادر الجيلانى) وعلينا بهم ، يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين آمين ، آمين يا أكرم الأكرمين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه : عبده المذنب أحمد رضا البريلوى عفى عنه بمحمد المصطفى النبى الأمى صلى الله تعالى عليه وسلم .

فرغت من تعريب هذه الرسالة فى ٢٨ من شهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق غرة يوليو ٢٠٠٠م . أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، رب اغفر لى ولوالدى ولأساتذتى ومشايخى وللمؤمنين يوم الحساب .

الفهرس

التعريف بالمصنف وتأليفه ٣

تقريظ لفضيلة الشيخ محمد القادرى الشامى ١٣

مقدمة المصنف ١٨

سند القصيدة الخمرية ٢٢

النكتة الأولى فى الاحتفاء بقواعد اللغة العربية وإهمالها ٢٧

النكتة الثانية بيان عدم الاهتمام بعض الأئمة بقواعد الإعراب ٣١

النكتة الثالثة فى كون اللغة العربية غير اللغة للعالم ٤٩

النكتة الرابعة فى أقسام الفن وأحكامه ٥٢

النكتة الخامسة الضرورات الشعرية وآفاقها الواسعة ٥٥

النكتة السادسة السبب النفيس لصدور ذلك من الأولياء ٥٩

النكتة السابعة فى أن الأولياء يلحنون عن عمد لبعض الأسرار ٦٨

النكتة الثامنة فى إهمال الأولياء والأئمة فى أمر العربية ٧٠

النكتة التاسعة الكمال فى اللغة لا يعد من كمال أهل الكمال ٧٣

النكتة العاشرة لحن المحبوبين أحب من صواب الآخرين ٧٦

تنبيه نبيه ٧٨



ألفت هذه الرسالة في الذب عن لامية الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه ـ والتي عرفت بالخمرية في الأوساط الصوفية و قد سلك ناظمها فيها مسلك الرمزية كغيره من شعراء الزهد و التصوف ، إذ أنهم ذكروا الخمر في قصائدهم الوجدانية معبرين به عن مواجيدهم و مدى نشوتهم عند تناولهم كئوس الحب الإلهي ، و مؤلف هذه الرسالة يثبت و يقر نسبة الخمرية إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني أولا ثم يرد على من يطعن في لغة الخمرية بحجة اللحن فيها ، وقد ذهب المؤلف إلى نفي أيّ لحن في القصيدة ، ثم عقب على حكمه هذا بقوله : إذا افترضنا اللحن في الخمرية فلا يعني ذلك أن ننفي نسبتها إلى مولانا الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، فإن كثيرا من الشعراء الأجلاء والأئمة العلماء لحنوا في بعض الأحيان دون عمد و ذلك لانكبابهم على المعاني التي هي كالروح للألفاظ ،إنها قضية اللفظ والمعنى التي أثارت جدلا واسعا بين البلاغيين منذ عبد القاهر الجرجاني إلى يومنا هذا ، فمنهم من يهتم باللفظ أكثر منه بالمعنى،ومنهم من يركز على المعنى دون المبالغة في الاحتفاء باللفظ ، ومن هنا نريد أن نقول : إنّ مؤلف هذه الرسالة يهدف إلى الدفاع عن الخمرية بإثبات نسبتها إلى الشيخ عبدالقادرالجيلاني ، و نفي اللحن عنها، ويبرء الخمرية عن اللحن الذي زعمه بعض الناس في عصره ، ولايدعو إلى اللحن في العربية لامن قريب ولامن بعيد ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

